القــــدس
بين الحق الإسلامي والمزاعم الصهيونية

تأليف

لفيف من كبار العلماء

تقديم

أ.د. محمود حمدي زقزوق

إعداد

هيئة تحرير مجلة الأزهر



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م



تقديم

أ.د. محمود حمدي زقزوق

تعد قضية القدس من القضايا التي تهم المسلمين جميعًا في كل مكان وزمان، فالقدس تشكل جزءًا جوهريًا من موروثات الأمة الإسلامية ومقدساتها، وهي مرتبطة برحلة الإسراء. والقدس بمسجدها الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وهذا يعني أنها ليست قضية عربية تهم العرب فقط، أو الفلسطينيين فقط، وإنما تهم كل مسلم في كل بقاع الأرض. ومن هنا فإنه لا يجوز اختزالها بجعلها مجرد قضية فلسطينية. فمسئولية تحريرها تقع على عاتق كل مسلم.

زيارة القدس:

وقد كانت لي وجهة نظر حول قضية القدس ذكرتها منذ عقدين تقريبًا[1]، وتتلخص في أننا يجب أن نتعامل مع قضية القدس على أنها قضية إسلامية، ليس فقط على المستوى النظري، وإنما على المستوى العملي أيضًا. فكما يحج المسلمون إلى المسجد الحرام ويحرصون على زيارة المسجد النبوي، عليهم أن يكثروا أيضًا من زيارة بيت المقدس حتى يُشعِروا العالم بأن هذه القضية قضية إسلامية لا يمكن التهاون بشأنها أو التنازل عنها مهما طال الزمن.

وعندما طالبت بذلك اتُّهمت بأنني أدعو إلى التطبيع وإلى ترويج

(١) كان ذلك في ندوة حول القدس عُقدت بنقابة الصحفيين وحضرها فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر -رحمه الله- وقداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية.

اقتصاد العدو، على الرغم من أن المستفيدين سيكونون من المسلمين المحيطين ببيت المقدس، ولو حدث هذا التدفق الإسلامي لزيارة القدس لكان في ذلك خلق واقع جديد يؤكد الحق الإسلامي في القدس.

وقد رحَّب بهذه الدعوة العديد من الإخوة الفلسطينيين على المستويين الرسمي والشعبي، ولكن المزايدات الجوفاء والشعارات الرنانة الفارغة لا تدع للمنطق العقلي مكانًا، ولا نعلم ما تخبئه الأيام للقدس الشريف من مستقبل.

الأسس الدينية:

والأسس الدينية التي نستند إليها في الدعوة لزيارة القدس تتمثل فيما يلي:

١- وردت الإشارة إلى المسجد الأقصى المبارك في أول سورة الإسراء في قوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء: ١)

والمسلمون في كل مكان في العالم يتعبدون بهذه الآية وغيرها من آيات القرآن الكريم. فالمسجد الأقصى أحد المقدسات الإسلامية، وله في حياتهم الدينية مكانة كبيرة لا جدال فيها.

٢- ورد عن النبي ﷺ قوله: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»[٢] وهذا يوضح لنا بجلاء مكانة المسجد الأقصى بين المقدسات الإسلامية التي تشد الرحال إليها، ويُطلب من المسلمين زيارتها.

٣- كان من عادة المسلمين في السابق أن يزور الحجاج إلى مكة المسجد الأقصى في القدس في طريق رحلتهم إلى الحج تلبية لما جاء في الحديث النبوي المشار إليه.

---

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٤- في السنة السادسة للهجرة أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يعتمر ومعه عشرة آلاف من المسلمين على الرغم من أن مكة كانت حينذاك في يد كفار قريش، وأن الأصنام كانت منصوبة حول الكعبة. فهل كان النبي ﷺ يريد أن يعترف بسيطرة المشركين على المسجد الحرام وبشرعية الأصنام المنصوبة حول الكعبة؟!

لقد أراد فقط أن يؤكد الحق الإسلامي في زيارة المسجد الحرام والطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة، وفي ذلك أبلغ رد على من يعارضون زيارة المسجد الأقصى اليوم بحجة أنه تحت الاحتلال الصهيوني.

وكما رفض مشركو مكة السماح للمسلمين بأداء العمرة في السنة السادسة للهجرة، فإن من المتوقع أيضًا أن ترفض إسرائيل السماح بزيارة المسجد الأقصى لعشرات الآلاف من المسلمين سنويًا. وعندئذ يحق للمسلمين أن يتوجهوا إلى المجتمع الدولي ومنظمات حقوق الإنسان الدولية مسجلين مواقفهم واحتجاجهم على منعهم من أداء شعيرة دينية. وعلى المسلمين ألا يكتفوا بمجرد الاحتجاج، بل عليهم أن يعملوا على إبقاء هذه القضية مطروحة للنقاش، والحصول على دعم دولي للتوصل إلى قرارات تؤكد الحق الإسلامي في القدس.

تطورات قضية القدس:

لقد مرت قضية القدس بحقب مختلفة كان أصعبها أثناء الاحتلال الصليبي للقدس قبل أن يستردها صلاح الدين الأيوبي بعد احتلال استمر قرابة قرن من الزمان. ويروي التاريخ أن الصليبيين عندما احتلوا المدينة قتلوا كل مَن كان فيها من المسلمين وكان عددهم يبلغ سبعين ألفًا، حتى سالت الدماء أنهارًا في الطرقات وغاصت فيها الخيول.

وقد حث بعض المسلمين السلطان صلاح الدين بعد أن استرد القدس أن يفعل بالصليبيين مثل ما فعلوا بالمسلمين، ولكنه تأسى

برسـول الله ﷺ الذي قـال لكفار مكة بعـد فتحها : «اذهبـوا فأنتم الطلقـاء» (السـنن الكبـرى للبيهقـي) ، وعفا القائد صـلاح الدين عنهم ، وأرسـل طبيبه الخاص ليعالج أعدى أعدائه ، وفك أسر مَن لم يسـتطع دفع الفدية . فما دامت الحقوق قد اسـتردت فلا حاجة إلى القتل أو التنكيل ، فالانتقام ليس من شيم الإسلام[٣] .

وتمـر الأيام ويعاد احتلال أرض فلسـطين حتى اليوم وهي قضية تنفـرد بطول أمدها ، وهي القضية الوحيدة في عالم اليوم التي ظلت أكثر من ستة عقود من الزمن دون حل على الرغم من حماس المجتمع الدولي لحل الكثير من القضايا الأخرى في فترات قصيرة .

عقبات في طريق الحل:

وكلما اقترب الأمل في إيجاد حل لهذه القضية تتعقد المشكلات مرة أخرى سـواء من خلال أطراف داخلية أو أطراف بعيدة عنا . وقد أتاح الرئيس الراحل أنور السـادات فرصة ذهبية للفلسـطينيين أيام المفاوضات مع إسرائيل التي انتهت بتوقيع اتفاقية (كامب ديفيد) ، ولكـن جبهـة الرفـض ، التي كانت تسـمي نفسـها جبهـة الصمود والتصـدي آنـذاك ، عطلت الجهـود للتوصل إلى الحـل ، وأصبحت الأرض الفلسـطينية مرتعًا خصبًا لإسـرائيل لتقطيـع أوصالها جزءًا جـزءًا ، حتـى إذا جاء الحل لـم يجد الفلسـطينيون أرضًا يتفاوضون عليها . وقد تحولت جبهة (الرفض) في السنوات الأخيرة إلى جبهة الممانعة . ولله الأمر من قبل ومن بعد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قضية الفرص الضائعة:

وهكذا تم اختزال قضية القدس وجعلناها مجرد قضية فلسـطينية ،

---

(٣) راجـع: سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركـة الصليبية، الجزء الثاني، ص٧٨٠ – ٧٩٣ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦م.

يتم التعامل معها مثل أي مدينة أخرى كغزة أو الخليل أو خان يونس. وهذا الاختزال سحب عنها المدد الإسلامي الذي كان يمكن أن يكون أقوى سند وأمضى سلاح في مواجهة العدو المغتصب.

أما الإخوة الفلسطينيون - أصحاب القضية الذين كان يُنتظر منهم أن يلتفوا جميعًا حول هدف واحد وهو إنقاذ القدس وبقية الأراضي الفلسطينية - فإنهم مشغولون بخلافاتهم السياسية والأيديولوجية والصراعات حول السلطة. والعقل والمنطق يحتمان تأجيل هذه الصراعات إلى ما بعد تحرير القدس وسائر الأراضي الفلسطينية.

لقد آن الأوان لأن نكف عن ترديد الشعارات الجوفاء والمتاجرة بمقدسات الأمة، فقضية القدس بصفة خاصة، والقضية الفلسطينية بصفة عامة أصبحت - للأسف الشديد - قضية الفرص الضائعة.

ضرورة التضامن:

إن الألم والحزن يعتصران قلب كل مسلم غيور على مقدساته، والمسلمون اليوم في أشد الحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى تجميع صفوفهم وتوحيد جهودهم والالتفاف حول قضاياهم المصيرية وفي مقدمتها قضية القدس حتى يعلم العالم كله منزلة القدس في قلوب المسلمين. والقرآن الكريم ينادي المسلمين بالاعتصام بحبل الله، والتعاون فيما بينهم، وطرح الخلافات والنزاعات وراء ظهورهم. ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ (آل عمران : ١٠٣)

وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٤٦)

لقد أصبحت الأمة الإسلامية في وضع لا تحسد عليه، ولا يجوز لها أن تستكين وتنعي حظها، فهذا لن يرد الحقوق المسلوبة، إنها في حاجة إلى صحوة جديدة حتى يمكن أن تعود مرة أخرى قوية ومتحدة في عالم لا يحترم إلا القوة، ولدينا العديد من أسباب القوة التي لا نوظفها - للأسف الشديد - لخدمة قضايانا المصيرية.

لقد كتب الله العزة للمؤمنين في قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)

وهذه العزة لها ضريبة مستحقة على المسلمين. فنصر الله لا يمنح مجانًا للكسالى والمتخاذلين والمتاجرين بالشعارات، وإنما يُمنح للعاملين بجد وإخلاص من أجل بلوغ الأهداف المرجوة. وفي هذا السياق يقول الله تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًا﴾ (النور: ٥٥)

إن هذه الوعود الإلهية الثلاثة غير متحققة للمسلمين في عالم اليوم، فقد اختزلنا الدين واختزلنا عمل الصالحات الذي نصت عليه هذه الآية في العبادات والشكليات وصرنا نقول: لنا الآخرة ولغيرنا الدنيا، وهو أمر مغلوط. فالدنيا مزرعة للآخرة، والعمل الصالح يُقصد به كل عمل يقوم به المرء في هذه الحياة سواء كان هذا العمل دينيًا أم دنيويًا طالما قصد به المرء وجه الله ونفع الناس ودفع الأذى عنهم فهو عمل صالح وهو عبادة لله تعالى. فإذا ساد هذا الفهم استقامت الأمور. فاختزال الصالحات في العبادات ظلم كما هو الحال في اختزال القدس واعتبارها قضية فلسطينية فحسب.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾

(يوسف: ٢١)

المسجد الأقصى
أم
الهيكل المزعوم

أ.د. يحيى وزيري
مدير عام المجلس الإسلامي العالمي
للدعوة والإغاثة - سابقاً

مقدمة:

لقد ارتبط المسجد الأقصى المبارك، في وجدان المسلمين، برباط روحي بالمسجد الحرام منذ حادثة الإسراء والمعراج، وقد خصص الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم سورة باسم سورة الإسراء تخليدًا لهذه الذكرى المباركة حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾
(الإسراء: ١)

إن أهمية البحث في موضوع المسجد الأقصى المبارك تنبع من عدة أشياء مهمة، يأتي في مقدمتها أنه القبلة الأولى التي توجه إليها المسلمون في صلاتهم، كما أنه ثالث المساجد التي يشد إليها الرحال بعد الحرمين الشريفين، وتزداد هذه الأهمية في الوقت الحالي بالذات لما يتعرض له من اعتداءات وانتهاكات مستمرة من جانب الاحتلال الإسرائيلي، حيث يدعي اليهود بأن لهم حقًا تاريخيًا في مدينة القدس ومسجدها المبارك كذبًا وافتراء، بل ويعلنون صراحة نيتهم من حين لآخر، وعزمهم على إعادة بناء هيكلهم المزعوم على أنقاض الحرم القدسي الشريف، وينتظرون الظروف المواتية التي تمكنهم من تحقيق ذلك.

وأخيرًا فإن اختيار القدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، يجعل لهذه الدراسة أهمية خاصة لنشرها في هذا العام بالذات (٢٠٠٩م)، بالإضافة لكل ما ذكر من أسباب.

إن المنهج الذي اتبع في هذه الدراسة يتخذ من الشواهد المعمارية والأثرية أدلة مادية، يمكن الاعتماد عليها لإثبات الهوية الإسلامية للمسجد الأقصى المبارك، وهو ما أوضحناه في الفصل الأول من

الدراسة عن طريق إثبات أن قبلة المسجد الأقصى المبارك تتجه إلى مكة المكرمة، قبل أن يفتح المسلمون القدس بمئات السنين، إلى جانب إثبات التشابه والتطابق الهندسي ما بين المسجد الأقصى والكعبة المشرفة.

أما في الفصل الثاني فقد تم دراسة النصوص التوراتية التي تحدثت عن أوصاف هندسية معمارية تفصيلية للهيكل المزعوم، من أجل إثبات التناقضات الواضحة في هذه النصوص التوراتية، سواء أكان هذا التناقض بين النصوص التوراتية نفسها، أم مع الحقائق الهندسية والمعمارية المتعارف عليها عند المتخصصين في هذا العلم، وهو ما يؤكد على أن هذه النصوص ليست وحيًا من الله بل تم تحريفها عن طريق بعض الكتبة والأحبار، كما يثبت أن فكرة وجود هيكل كما يزعم اليهود هي فكرة مختلقة وليس لها أي أصل، وهو ما أيدته الحفريات الأثرية في مدينة القدس أو حول وتحت المسجد الأقصى المبارك، على مدى أكثر من مئة وخمسين عامًا.

أوجه التشابه بين المسجد الأقصى والكعبة المشرفة

إن الهدف من هذه الدراسة[٤] هو استخدام الأدلة المادية المتمثلة في المعمار والآثار، والتي لا يمكن التشكيك في مصداقيتها، لإثبات الهوية الإسلامية للمسجد الأقصى عن طريق القيام بعمل دراسة تحليلية لأسلوب توجيه أسوار الحرم القدسي، والتي تمثل الأبعاد المحددة للمسجدالأقصى المبارك، حتى يمكن اكتشاف إلى أي الجهات يتجه المسقط الأفقي للمسجد الأقصى، مع عمل مقارنة لتوجيه الهيكل المزعوم اعتماداً على بعض النصوص الواردة في التوراة، التي أوضحت إلى أي الجهات الجغرافية يتجه هذا البناء المزعوم.

كما سيتم توضيح أوجه التشابه بين شكل ونسب المسجد الأقصى ثاني مسجد وُضع في الأرض وبين الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس.

أولا: مفهوم وحدود المسجد الأقصى:

يقع المسجد الأقصى المبارك في مدينة القدس أهم مدن فلسطين وعاصمتها المقدسة منذ القدم، وتعتبر من أهم عواصم ومدن العالم الإسلامي، والقدس القديمة هي تلك الموجودة داخل السور الذي أقامه وجدده سليمان القانوني، وتحيط بها الأودية والمرتفعات من جميع الجهات.

(٤) هذه الدراسة جزء من بحث مطول (مع إضافة بعض التعديلات المهمة) فاز بجائزة وزارة الأوقاف الكويتية عام٢٠٠٧ م، انظر: يحيى وزيري (٢٠٠٧) المسجد الأقصى المبارك.. إثبات الهوية الإسلامية بالشواهد المعمارية والأثرية البحث الفائز بجائزة مسابقة الأقصى الدولية الأولى، وزارة الأوقاف الكويتية، دولة الكويت.

وتقـع المدينة المقدسـة على خط عرض ٣١,٥٢ درجة شـمالاً وعلـى خـط طـول ٣٥,١٣ درجة شـرقي جرينتـش، وأقيمت على أربعة جبال هي: جبل موريا (ومعناه المختار) القائم عليه المسجد الأقصى (الحرم القدسي الشريف) في جنوب شرق المدينة، وجبل صهيون ويعرف بجبل النبي داود وهو يشكل الجزء الجنوبي الغربي مـن جبال بيـت المقدس الأربعـة، وجبل أكرا حيث توجد كنيسـة القيامة، وجبل بزيتا ويقع بالقرب من باب الساهرة[٥].

أمـا المسـجد الأقصـى وسـاحاته الخارجيـة المحاطة بالسـور الحجـري في الطرف الجنوبي فيقع شـرق مدينة القـدس القديمة، وهو مشـيد على جبل (موريا) ويشـغل تقريبا مساحة ١٥٠ دونما (الدونم يسـاوي ١٠٠٠م٢)، ويحيط به سـور حجري طول الجهة الغربية منه ٤٩٠ مترًا والشـرقية ٤٧٤ مترًا والشـمالية ٣٢١ مترًا والجنوبية ٢٨٣ مترًا[٦]. ينظر الشكل (١)

لقـد وجدنـا أنه من الـلازم أولا أن نقـوم بتوضيح ما هـو مفهوم وحدود المسـجد الأقصـى من الناحية الشـرعية؛ لأنه يحدث خلط ولبس كبير بخصوص هذا الشأن، حيث يعتقد الكثيرون أن المسجد الأقصى هو فقط الجامع المبني جنوبي قبة الصخرة، وهو الذي تقام فيه الصلوات الخمس الآن.

فحقيقة الحال أن المسـجد الأقصى اسـم لجميع المسـجد وهو ما دار عليه السـور وفيه الأبواب والساحات الواسعة، والجامع وقبة

---

(٥) انظـر أيضـا: يحيى وزيري (٢٠٠٨) المسجد الأقصـى أم الهيكل المزعوم دراسة تحليلية مقارنـة مجلة كلية الآثار - العدد الثالث عشر، جامعة القاهرة ص ١٣٧ - ١٥٩.

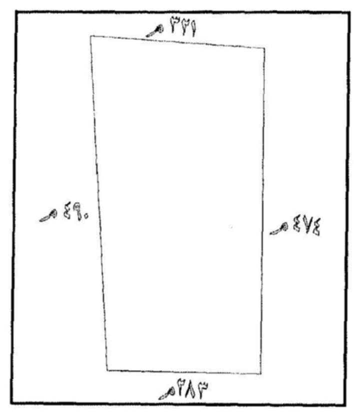
(٦) عبـد الحميد زايد (٢٠٠٠) القدس الخالـدة سلسلة تاريخ المصريين ١٩٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ص.١٣

الصخرة والمصلى المرواني والأروقة والقباب والمصاطب وأسبلة الماء وغيرها من المعالم، وعلى أسواره المآذن، والمسجد كله غير مسقف سوى بناء قبة الصخرة والمصلى الجامع الذي يُعرف عند العامة بالمسجد الأقصى وما تبقى فهو في منزلة ساحة المسجد، وهذا ما اتفق عليه العلماء والمؤرخون، وعليه تكون مضاعفة ثواب الصلاة في أي جزء مما دار عليه السور[٧].



الشكل (١-أ): منظر عام للمسجد الأقصى المبارك.

(٧) عارف باشا العارف ١٩٩٩م تاريخ القدس ط ٣ دار المعارف، القاهرة، ص.٣٠٣



شكل (١-ب): مقاسات أسوار المسجد الأقصى

التي تحدد الحرم الشريف «من رسم المؤلف».

فالمسجد الأقصى المبارك الوارد ذكره في كتاب الله الكريم في الآية الأولى من سورة الإسراء، هو البقعة المباركة الذي يطلق عليها الآن الحرم القدسي المحاطة بالسور العظيم وما بني فوقها، وحكم السور حكم المسجد المحاط به وهو منه؛ لما اتفق عليه الفقهاء من أن جدار المسجد من المسجد، ذلك هو المسجد الأقصى الشرعي[٨].

وعلى ذلك فإن المسجد الأقصى (الشرعي) والحرم الشريف هما مسميان لمكان واحد، وتم إطلاق مسمى الحرم الشريف في العصور المتأخرة.

ويقول الشيخ عبد الحميد السائح وزير الأوقاف والمقدسات الإسلامية السابق بالأردن عن مفهوم المسجد الأقصى[٩]: «.. وقد

---

(٨) مصطفى عبد القادر ٢٠٠١ وثائق اليهود السرية للاستيلاء على المسجد الأقصى المؤلف نفسه، الإسكندرية، ص.١١

(٩) عبد الحميد زايد: مرجع سابق، ص.١٨١

كان مفهوم المسجد الأقصى، المقدس لدى عموم المسلمين، إنما يعني جميع ما أحاط به سور المسجد الأقصى وفيه الأبواب، يدل على ذلك:

ما ورد في الحديث الصحيح أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه حين أخبر قومه بالإسراء واستنكروه أرادوا أن يمتحنوه بالاستيضاح عن صفة المسجد، فأخذ يصفه لهم ويعد أبوابه بابًا بابًا، وقد كانوا يعرفونه فتحققوا صفة الوصف.

ما جاء في كتاب بلدانية فلسطين العربية للأب أ.س. مرمرجي الدومنكي، أحد أساتذة المعهد الكتابي والآثاري في القدس الشريف وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق، أن المتعارف عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة، يقصد الجامع المبني في صدر الحرم الشريف، الذي فيه المنبر والمحراب، وحقيقة الحال أن الأقصى اسم لجميع المساجد مما دار عليه السور.

الفتوى الدينية التي أصدرها علماء المسلمين في الضفة الغربية عام ١٩٦٧م، وصرحوا فيها بذلك أيضًا استنادًا إلى نصوص دينية وتاريخية موثقة.

وقد أيد هذه الفتوى مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف الذي عقد عام ١٩٦٨م».

وعلى ذلك فإن موقع وحدود المسجد الأقصى عند المسلمين محددة ومعروفة ولا لبس فيه، حيث ورد ذكره في القرآن الكريم وفي أحاديث الإسراء والمعراج، كما أنه كان القبلة الأولى التي صلى إليها الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام قبل تحويل القبلة إلى مكة المكرمة.

ثانيا: التوجيه الجغرافي للمسجد الأقصى الشرعي (الحرم القدسي):

١- علاقة توجيه الحرم القدسي بمكة المكرمة (القبلة):

يعتبر التوجيه الجغرافي Orintation هو أحد أهم الخصائص التي تحدد هوية أي مبنى، وبخاصة إذا كان هذا المبنى يؤدي وظيفة دينية، وكما هو معروف فإن أهم محدد تصميمي للمسجد هو أن يتجه حائط القبلة فيه إلى مكة المكرمة، تصديقا لقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾

(البقرة: ١٤٤)[١٠]

أي شطر المسجد الحرام بمكة المكرمة.

وقد ورد في الحديث النبوي ما يوضح أن المسجد الأقصى هو ثاني مسجد وُضع في الأرض بعد المسجد الحرام، وذلك لما ورد في الصحيحين عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعدُ فصل فإن الفضل فيه» (صحيح البخاري).

إن الحديث النبوي السابق يقرر بوضوح أن المسجد الأقصى قد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام، وهذا يعني أن قبلة المسجد الأقصى لا بد وأن تكون موجهة إلى مكة المكرمة حيث المسجد

---

(١٠) يحيى وزيري ٢٠٠٥ التطور العمراني والتراث المعماري لمدينة القدس الشريف الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ص.١٢٧

الحرام (القبلة)، منذ قديم الزمان قبل بعثة المصطفى ﷺ[11].

ولإثبات صحة هذه الفرضية قام المؤلف بالاستعانة ببرنامج (جوجل إيرث Google earth) وبرنامج تحديد اتجاه القبلة Qibl Iocator اللذان يستخدمان صور الأقمار الصناعية الحقيقية، حتى يتم معرفة الجهة التي يتوجه إليها السور الجنوبي للحرم الشريف، الذي يمثل حائط قبلة المسجد القبلي (المغطى). شكل (٢)

فإذا عرفنا أن اتجاه القبلة (مكة المكرمة) في القدس مقاسا من اتجاه الشمال- الجنوب الحقيقي ينحرف ٢٣,٧٩ درجة إلى الشرق[12]، فإن الصورة الجوية أوضحت أن المحور الرئيسي للمسجد الأقصى القبلي (وكذلك الحرم القدسي ككل)، ينحرف حوالي ١١,٨١ درجة عن اتجاه القبلة الحقيقي. شكل (٣)

فإذا كان محيط الكرة الأرضية يساوي ٣٦٠ درجة تماما، فهذا يعني أن نسبة انحراف قبلة المسجد الأقصى عن جهة مكة المكرمة هي تقريبا ٣٪، وهي نسبة ضئيلة يمكن إهمالها مما يعني أن المحور الأساسي لمنطقة الحرم الشريف يتجه إلى مكة المكرمة قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

---

(١١) ذكر الدكتور حسن ظاظا أن شكل مساحة المسجد الأقصى تشبه المستطيل يأخذ اتجاهه من الشمال للجنوب اتجاه قبلة مكة المكرمة، لكنه لم يورد إثباتا لذلك، انظر: حسن ظاظا ١٩٧٣ إسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين مجلة البحوث الإسلامية القاهرة، ص١١٦ ، ١١٧ (منقول عن عبد الفتاح حسن أبو علية ٢٠٠٠ القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف دار المريخ للنشر، الرياض، ص٢٨ .

(١٢) اتجاه القبلة في مدينة القدس هو١٥٦,٢١ درجة مقاسا من اتجاه الشمال الحقيقي في اتجاه عقارب الساعة، انظر على سبيل المثال الموقعين الإلكترونيين التاليين المخصصين لتحديد اتجاه القبلة في أي مدينة في العالم:

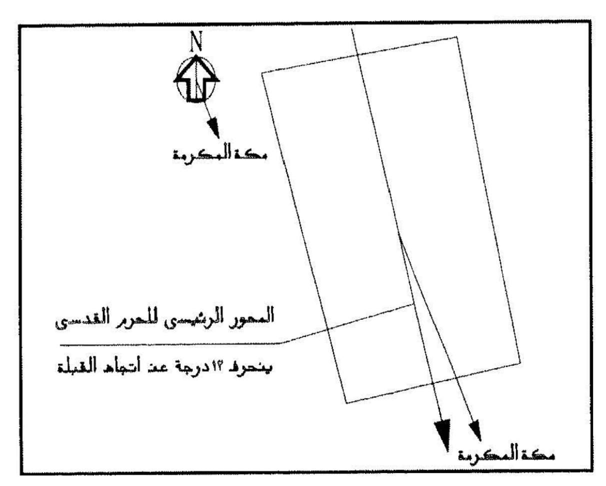
WWW.Qibalacator.com

www.qibla.com.br

إن الإثبات السابق يعتبر قرينة مادية هامة، لا يمكن إغفالها، توضح أن هذه البقعة التي بارك الله حولها هي مسجد، لتوجهها إلى مكة المكرمة حيث الكعبة المشرفة (القبلة) أول بيت وضع للناس في الأرض.



شكل (٢) : صورة جوية حقيقية للمسجد الأقصى الشرعي (الحرم القدسي الشريف)، موضحًا عليها اتجاه مكة المكرمة، باستخدام برنامج **Qibl acator** (من دراسة المؤلف).



شكل (٣) : المحور الرئيسي للحرم القدسي يتجه تقريبًا إلى مكة المكرمة مع انحراف بسيط (رسم ودراسة المؤلف).

فـإذا عرفنا أن أسـاس أسـوار الحرم القدسـي الشـريف الحالي، موجودة منذ حكم (هيرود الكبير) للقدس والذي مات عام ٤ ق.م، وهـو ما كشـفت عنه الحفريـات التي قام بها (تشـارلز وارين) عام ١٨٦٧م والتـي وصلت إلى عمق ٢٤ مترًا تحت سـطح الأرض[١٣]، شـكل (٤)، تحـت رعاية هيئة تمويـل التنقيب عن آثار فلسـطين والتي تأسسـت عام ١٨٦٥م[١٤]، فـإن هذا يعني أن المحور الطولي الأساسـي للحرم القدسـي الشـريف الحالـي يتجه للقبلـة قبل فتح المسـلمين لبيت المقـدس بحوالي ٦٤٠ عامًـا[١٥]، وهو ما يعطي دلالة واضحة على أن منطقة الحرم القدسـي الشريف موجهة للقبلة منذ القدم[١٦]، كما ورد في الحديث النبوي الذي أخبر بأن المسجد الأقصى هو ثاني مسـجد وضع فـي الأرض، وهو ما يعني توجه قبلته للمسجد الحرام أول مسجد وضع للناس في الأرض، وهو القبلة التي يتجه إليها المسلمون في صلاتهم.

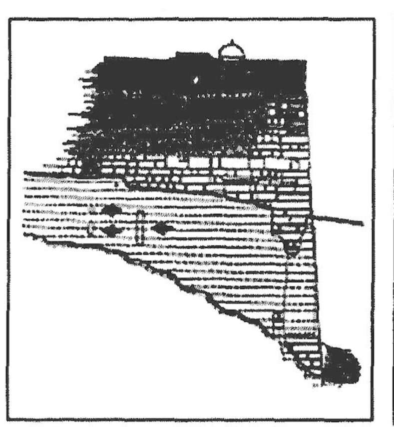
---

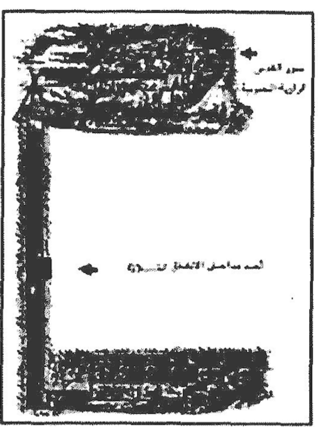
(١٣) عبد الحميد زايد: مرجع سابق، ص (١٢٥).

(١٤) وليـم ف. أولبرايـت (١٩٧١). آثار فلسطين. المجلس الأعلـى للشئون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، ص ٣١.

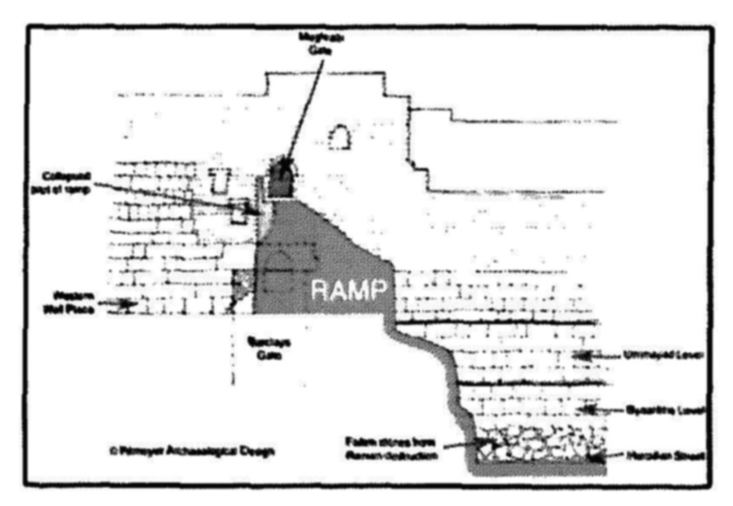
(١٥) المسلمون فتحوا بيت المقدس عام ١٦ هجرية.

(١٦) ذكـر ذلك أيضـا دون إثبات في أحد البحـوث العلمية، انظـر: فرحات خورشيد طاشكندي(١٩٩٩) الشواهد من الشريعة والعمارة في اهتداء المسلمين إلى القبلة الأولى نـدوة عمارة المساجد، المجلد السابع، كلية العمـارة والتخطيط جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ص (١١٣).





شكل (٤-أ) : قطاع رأسي في أحد أنفاق تشارلز وارين، وأماكن هذه الأنفاق بسور الحرم القدسي، والتي توضح جانبًا من أساسات المسجد الأقصى الأصلية والتي ترجع إلى عهد (هيرود الكبير) .



شكل (٤-ب) : قطاع وواجهة من جهة باب المغاربة وحائط البراق، توضح أن الطبقة السفلى من أساس الحائط الغربي للمسجد الأقصى من عصر (هيرود) (الشكل منقول من موقع الأثري اليهودي (ريتمير) .

٢- دراسة توجيه الهيكل المزعوم:

بالرجـوع للنصوص التوراتية التي تصـف بيت الرب والمعروف بالهيـكل عنـد اليهود، وجدنـا أحد النصـوص التي تحـدد توجيه الهيكل وتحديدًا في سـفر الملوك الأول الإصحاح السادس (الفقرة ٩) كمـا يلـي[١٧]: «وكان بـاب الغرفة الوسـطى فـي جانب البيت (الهيكل) الأيمن وكانوا يصعدون بدرج معطف إلى الوسـطى ومن الوسطى إلى الثالثة».

فالنـص التوراتـي يقـرر أن بـاب الغرفة الوسـطى كان في جانب البيت الأيمن، أي في جهة الشـرق، وهذا يعني أن المحور الأساسي للهيكل يأخذ اتجاه الشـرق- الغرب، وهو ما تؤكده كل الرسومات التـي قام برسـمها الأثريون والمهندسـون اليهود لهيكل سـليمان حسب الوصف التوراتي[١٨]، شكل (٥).

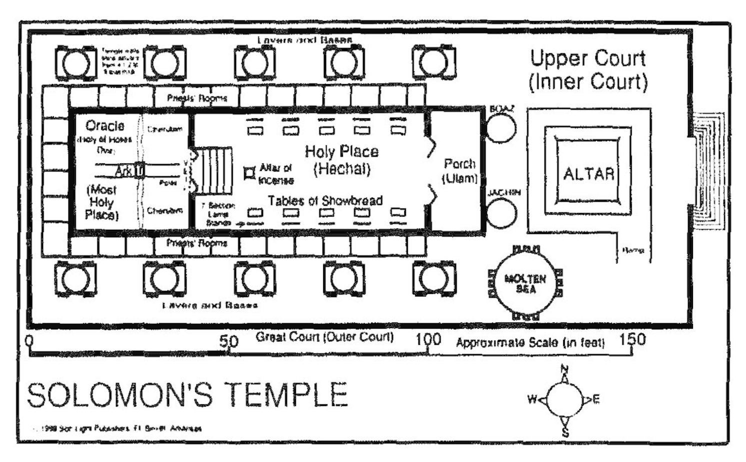
وهنـا يبرز سـؤال مهم.. إلى أي شـيء أو موقع مقـدس يقع إلى الغرب من مدينة القدس كان يتجه هيكل سليمان؟ الإجابة الواضحة علـى ذلك أنه لا يوجد شـيء محدد أو موقع مقـدس عند اليهود في هذه الجهة، ومن جانب آخر فإن توجيه الهيكل بهذا الشكل يتعارض أيضا مع اتجاه الاستطالة الرئيسي للشكل الهندسي للحرم القدسي (المسجد الأقصى)[١٩].

---

(١٧) انظر: الكتاب المقدس(١٩٧٠) دار الكتاب المقدس، القاهرة، ص (٥٣٩).

(١٨) انظر على سبيل المثال الموقع الإلكتروني التالي:
www.Bibleword.com
www.Shemayisrael.co.il/hmikdash/p-map.gif

(١٩) تنبـه لذلك أيضا الدكتـور حسن ظاظا حيث إن مستطيل هيـكل سليمان حسب التوراة يأخذ اتجاه شرق – غرب مخالفا لاتجاه المحور الرئيسي لاتجاه الحرم القدسي المسجد الأقصى، انظر حسن ظاظا: مرجع سابق.



شكل(٥) : كل الرسومات التي أعدها الإسرائيليون لهيكل سليمان حسب وصف التوراة، يتجه فيها المحور الرئيسي للهيكل المزعوم جهة الغرب دون سبب واضح أو مفهوم[٢٠].

إن اتجاه المحور الرئيسي للحرم القدسي الشريف والذي يشير إلى مكة المكرمة، يؤكد على أن هذا الموقع كان مسجدا وقبلته مكة المكرمة منذ القِدم قبل الفتح الإسلامي، لأن المسلمين عندما فتحوا بيت المقدس كانت أسوار الحرم القدسي موجودة ومبنية على القواعد التي أرساها هيرود الكبير قبل ميلاد المسيح، وهذه القواعد والأسس كانت تجديدًا لما كان موجودًا بالفعل، وقد أثبتت حفريات (وارن) بالركن الجنوبي الشرقي من سور المسجد الأقصى والتي وصلت إلى ٢٤ مترًا تحت سطح الأرض، وجود أساسات هذا السور من الحرم القدسي من عهد هيرود، أي قبل الفتح الإسلامي بمئات السنين كما أوضحنا من قبل.

إن التوجيه الجغرافي للحرم القدسي يؤكد الهوية الإسلامية للمسجد الأقصى، ويكذب الادعاءات الإسرائيلية التي تزعم بوجود

(٢٠) www.pluto.matrix49.com

هيكل ينسب إلى سيدنا سليمان يتجه محوره الأساسي لجهة الغرب ومدخله من جهة الشـرق ؛ وذلك لأن الحقيقة كما جاءت في السـنة النبوية أن سليمان قد جدد بناء المسجد الأقصى والذي كانت قبلته تتجه بالفعل إلى مكة المكرمة.

ثالثًا: دراسة الشكل والنسب الهندسية للحرم القدسي:

١- دراسة الشكل الهندسي للحرم القدسي:

سـبق أن أوضحنا أن مقاسـات أسـوار الحرم القدسي الذي يمثل حدود المسـجد الأقصى الشرعي عند المسـلمين، ارجع إلى شكل (١- ب)، هي كما يلي:[٢١]

- الجانب الشرقي ٤٧٤ مترًا.
- الجانب الشمالي ٣٢١ مترًا.
- الجانب الغربي ٤٩٠ مترًا.
- الجانب القبلي ٢٨٣ مترًا.

ومن دراسـة الأبعاد السـابقة يتبين لنا أنه لا يوجد ضلع من الأضلاع المحـددة للحرم القدسـي يسـاوي ضلعًـا آخر، كما أنـه لا يوجد ضلع يوازي ضلعًا آخر أيضًا، وهذه المواصفات إذا وُجدت في شكل هندسي فإنـه يُطلق عليه مسـمى (الشـكل المنحرف) أو (الشـكل المختلف الأضلاع)[٢٢]، وهو من الأشكال الهندسية نادرة الاستعمال في تصميم المساقط الأفقية للمباني أو تحديد أسوار المواقع.

٢- دراسة النسب الهندسية للحرم القدسي:

قام المؤلف بدراسـة النسبة الهندسـية للحرم القدسي بناء على

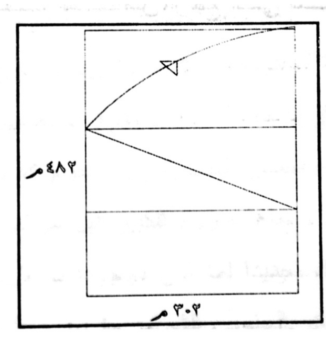
(٢١) عارف باشا العارف تاريخ القدس: مرجع سابق، ص(٣٠٣).

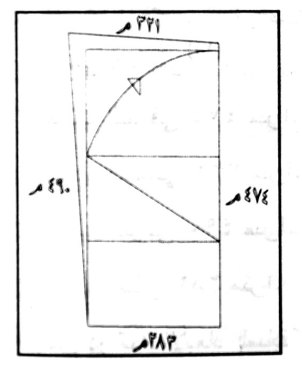
(٢٢) أحمـد زكـي ومحمد شفيق الجنيـدي(١٩٤٣) المبادئ الهندسيـة وزارة المعارف العمومية، القاهرة ص (١٠٧).

الأبعاد المشار إليها عاليه، وتم التوصل للنتائج التالية :

* النســبة المتوســطة ما بين طول الحرم القدسي إلى عرضه هي ١ : ١,٥٩ ، شكل (٦-أ.)

* النســبة الحقيقيــة ما بين الضلــع القبلي إلى الضلع الشــرقي للحرم القدسي هي ١ : ١,٦٧ ، شكل (٦- ب.)





شكل (٦-أ) : النسبة المتوسطة .   شكل (٦-ب) : النسبة الحقيقية .

شــكل (٦) : النسب الهندسية للحرم القدسي تتوافق تقريبًا مع (النسبة الذهبية) (دراسة ورسم المؤلف) .

وهذا يعني أن النســبة الهندسية للحرم القدســي تتوافق تقريبًا مع (النســبة الذهبية) والتي تســاوي ١ : ١,٦١٨ [٢٣]، وسُــميت بذلك لأنها أكثر نســبة مريحة للعين من الناحيــة الجمالية والبصرية أيضًا ، لذلك يُقال بأن المستطيل الذهبي هو أكثر الأشكال بهجة للناظر[٢٤] .

(٢٣) Issam El-Said & Ayse Parman 1967Geometric concepts in lslamic art. World of lslamic Festival Pubishing Company Ltd., London, pp(82)

(٢٤) محيــي الدين طالو(١٩٨٢) الفنون الزخرفيــة دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، ص (٢٩).

رابعًا: أوجه التطابق الهندسي بين الحرم القدسي والكعبة المشرفة:

سبق وأوضحنا أن القرآن الكريم في الآية الأولى من سورة الإسراء قد ربط بين المسجد الحرام (الكعبة المشرفة) والمسجد الأقصى الشرعي (الحرم القدسي)، كما أن السنة النبوية قد ربطت بينهما أيضًا، حيث أكدت على أن المسجد الحرام هو أول مسجد وضع في الأرض وأن المسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضع في الأرض، وأن الفترة بينهما هي أربعون سنة، من أجل ذلك كان البحث عن وجود أي تشابه من ناحية الخصائص الهندسية بين المسجدين.

وبما أننا قد قمنا بدراسة الشكل والنسب الهندسية للمسجد الأقصى الشرعي (الحرم القدسي)، فبنفس الأسلوب قمنا بدراسة الخصائص الهندسية للكعبة المشرفة[٢٥]، كما رفع قواعدها سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل كما ورد في القرآن الكريم.

فقد أورد عالم الآثار الإنجليزي (كريزول) في كتابه الشهير (الآثار الإسلامية الأولى)[٢٦]، مقاسات الكعبة الأصلية حسب رواية الأزرقي، شكل (٧)، إن أطوال أضلاع الكعبة الأصلية هي على التوالي كما يلي[٢٧]:

- الضلع الشمالي الشرقي ٣٢ ذراعًا.
- الضلع الشمالي الغربي ٢٢ ذراعًا.

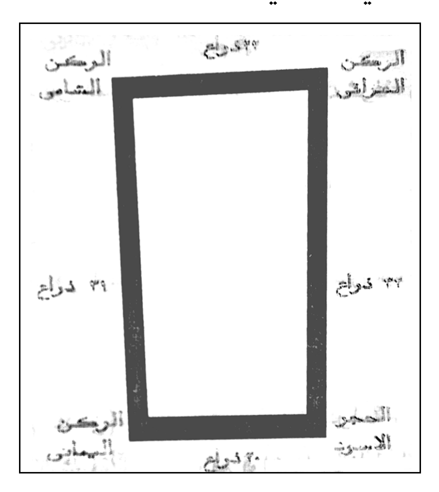
---

(٢٥) للمزيد من التفاصيل انظر بحثنا: يحيى وزيري(٢٠٠٧) الكعبة المشرفة دراسة تحليلية للخصائص التصميمية سجل بحوث مؤتمر إنتربيلد (١٤)، القاهرة.

(٢٦) ك كريزول(١٩٨٤) الآثار الإسلامية الأولىط(١) دار قتيبة، دمشق، ص(١٣).

(٢٧) الأزرقي(١٩٨٥) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثارط(٢) نشره وعلق عليه رشدي الصالح ملحن، بيروت، ص (٦٤).

- الضلع الجنوبي الغربي ٣١ ذراعًا .
- الضلع الجنوبي الشرقي ٢٠ ذراعا .



شكل (٧) : مسقط أفقي للكعبة المشرفة
كما رفع قواعدها سيدنا إبراهيم . (من رسم المؤلف) .

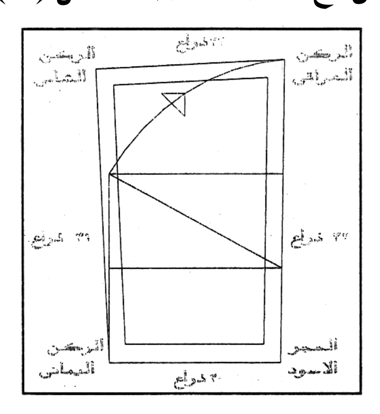
وهو ما يعني أنه لا يوجد ضلع من أضلاع الكعبة الأصلية يساوي أيا من أضلاعها الأخرى ، كما أنه لا يوجد ضلع يوازي أي ضلع آخر ، وهذه هي سمات الأشكال ذات الأربعة أضلاع التي يطلق عليها من ناحية توصيف الشكل الهندسي بالأشكال (المنحرفة) أو (مختلفة الأضلاع) ، وهذا يعني أن التوصيف الهندسي لشكل المسقط الأفقي للكعبة المشرفة يتطابق تمامًا ، مع نفس التوصيف للشكل الهندسي للحرم القدسي الشريف ، وهذا هو أول وجه من أوجه التطابق الهندسي بينهما .

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن مقاسات الكعبة الأصلية كما

وردت فـي كتاب الأزرقي (أخبـار مكة)، كما رفع قواعدها سـيدنا إبراهيـم، تختلف عن مقاسـات الكعبة الحاليـة[٢٨]، والتي تنقص عدة أذرع من جهة حجر إسماعيل منذ أن جددت قريش بناءها[٢٩].

وبنـاء علـى التحليـل الهندسـي للمقاسـات الأصليـة لمبنـى الكعبة المشرفة، كما بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام فقد تم التوصل لما يلي:

* النسبة المتوسطة ما بين عرض مبنى الكعبة إلى طولها هي ١ : ١,٥٠.
* النسـبة الحقيقيـة بيـن حائـط الكعبـة بين الركنين الأسـود واليماني إلى حائط الكعبة ما بين الركنين الأسـود والعراقي هي ١ : ١,٦٠ وهي تتطابق مع النسبة الذهبية، شكل (٨).



شكل (٨): النسب الهندسية الحقيقية لمقاسات الكعبة تتطابق مع النسبة الذهبية. (دراسة ورسم المؤلف).

---

(٢٨) مقاسات الكعبة حاليا كما يلي: الضلع الشمالي الشرقي١١,٦٨ م، الضلع الشمالي الغربـي (٩)م، الضلع الجنوبي الغربي١٢,٠٤ م، الضلـع الجنوبي الشرقي ١٠,١٨ م، ارجع على سبيل المثال إلى: يوسف علي عبد الرحيم(١٩٩٨) القصة الكاملة لبناء بيت الله الحرامالكعبة المشرفة. مجلة عمار، عدد(١٩)، الكويت، ص (٦٠).

(٢٩) أحمد رجب محمد علي(٢٠٠٠) المسجد الحرام بمكة المكرمة، ط (٢) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص (٢٤) وما بعدها.

إن النتائج السابقة توضح مدى التشابه بل والتطابق الهندسي بين الحرم القدسي والكعبة المشرفة، كما رفع قواعدها سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل، وهو ما يظهر أيضًا من المقارنة الواردة بجدول (١)، الذي يوضح أن الشكل الهندسي لكل من المسجد الأقصى الشرعي والكعبة المشرفة، هو الشكل المختلف الأضلاع وهو من الأشكال النادرة الاستعمال في مجال التصميم المعماري للمباني؛ لأن هذا الشكل لا يوجد فيه ضلع يساوي أو يوازي أيا من الأضلاع الأخرى لنفس الشكل، كما أن النسب الهندسية لكل من المسجدين تقريبًا متطابقة وتتساوى مع (النسبة الذهبية)، والتي تعتبر من أجمل النسب الهندسية على الإطلاق.

جدول رقم (١): التشابه والتطابق الهندسي بين المسجد الأقصى الشرعي (الحرم القدسي) والكعبة المشرفة بمقاساتها الأصلية (من دراسة المؤلف).

وجه التشابه والتطابق الهندسي	المسجد الأقصى الشرعي (الحرم القدسي)	الكعبة المشرفة (المقاسات الأصلية)
الشكل الهندسي	مختلف الأضلاع (من الأشكال النادرة الاستعمال)	مختلف الأضلاع (من الأشكال النادرة الاستعمال)
النسبة الهندسية المتوسطة	١ : ١,٥٩	١ : ١,٥٠
النسبة الهندسية الحقيقية	١ : ١,٦٧ (تقريبًا النسبة الذهبية)	١ : ١,٦٠ (تقريبًا النسبة الذهبية)

فهـل يمكـن اعتبار هذا التطابق الهندسـي من ناحية الشـكل أو النسـب الهندسـية مصادفـة؟[٣٠] . . . أم إن هذا التطابق الهندسـي يوضـح مـدى الارتبـاط المادي مـا بين المسـجد الأقصـى المبارك والكعبة المشرفة، والذي ربط بينهما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهـرة، وهـو ما يؤكد على الهوية الإسـلامية للمسـجد الأقصى المبـارك بمـا لا يـدع مجالاً للشـك وبخاصـة أن قبلتـه تتجه لمكة المكرمـة، حتى من قبل الفتح الإسـلامي لبيت المقدس بعدة قرون كما أوضحنا من قبل.

(٣٠) نبهنـي البعض قبيل نشر هذا الكتاب، إلى أن الدكتور هيثم الرطروط أشار إلى أنه يوجد تطابق بين زوايـا الكعبة المشرفة والمسجد الأقصى، وبعد الاطلاع على دراسته لاحظت أنه لم يعتمد في إثباته هذا على المقارنة بين الوضع الحقيقي للكعبة المشرفة بل علـى الوضع المقلوب لها أي بجعل الركن اليماني مـكان ركن الحجر الأسود، دون توضيح سبب ذلك، والمعروف أن المقارنات الهندسية يجب أن تكون بالنسبة للأوضاع الحقيقيـة والواقعية للمباني، انظر: هيثم الرطـروط(٢٠٠٥) المسجد الأقصى في الآثار القرآنية مجلة دراسات بيت المقدس، العدد الأول - السنة السادسة، مركز دراسات بيت المقدس، المملكة المتحدة.

تناقضات وصف الهيكل المزعوم في التوراة

أولاً: المنهج المتبع:

يعتمد اليهود في زعمهم أن الملك سليمان[٣١] قد بنى هيكلاً للعبادة في موقع المسجد الأقصى الحالي، على بعض النصوص التي وردت في التوراة، وهم بذلك يريدون إضفاء البعد الديني والقداسة على مقولتهم المزعومة، والتي كذَّبتها جميع الحفريات التي تمت في القدس أو تحت وحول المسجد الأقصى منذ أكثر من مئة وخمسين عامًا[٣٢].

ومن جانب آخر فإننا نحن المسلمين نعتقد اعتقادًا جازمًا بأن هذا الهيكل المزعوم، ما هو إلا أكذوبة ولم يكن له وجود أصلاً؛ لأن كل النصوص الدينية التي وردت في القرآن الكريم أو في الأحاديث النبوية الصحيحة، لم تذكر أن سيدنا سليمان عليه السلام قد بنى هيكلاً بل جدد بناء المسجد الأقصى[٣٣].

إن المنهج العلمي الذي اتبعناه في هذه الدراسة، نوضحه فيما يلي:

١- تم دراسة النصوص التوراتية التي تتحدث عن الهيكل

---

(٣١) عند اليهود فإن داود وسليمان ملوك وليسوا أنبياء، أما في عقيدتنا نحن المسلمين فهما نبيان مرسلان من عند الله.

(٣٢) ارجع على سبيل المثال إلى: رائف نجم(٢٠٠٤) المدخل للمدينة المقدسة المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس، عمان، ص (٨٣) وما بعدها.

(٣٣) لمعرفة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تؤكد ذلك يمكن الرجوع إلى: عيسى القدومي(٢٠٠٨) المسجد الأقصى الحقيقة والتاريخ، ط(٢) مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية حولي - الكويت، ص(١٠)، ص(١٤).

المزعوم، في الكتاب المقدس النسـخة العربية المترجمة، وكذلك النسـخة (الإنجليزية) للتـوراة، حتى يتم التأكـد تمامًا من مطابقة النص العربي المترجم للتوراة مع النص الإنجليزي من حيث الوصف المعماري والمقاسات الهندسية.

وقد تم الاسـتعانة بأكثر من نسـخة إنجليزية للتـوراة لتعددها، وهو ما يتضح بالرجوع إلى هوامش ومراجع الدراسـة؛ لأننا لاحظنا أنه يوجـد تعديل لبعض مقاسـات الهيكل (وتحديـدًا ارتفاع رواق الهيـكل) فـي بعض النسـخ الحديثـة، ويتضح ذلك بسـهولة عند مقارنتها بالنسـخ الإنجليزية القديمة نسـبيًا، والتي تتفق تمامًا مع النسخة العربية المترجمة للتوراة.

٢- لم يتم التعـرض للعقيدة اليهوديـة أو التناقضات الموجودة في التوراة بصفة عامة، فهذا ليس داخلاً في مجال هذا البحث[٣٤]، ولكـن تم التركيز فقط على النصـوص التي تصف الهيكل المزعوم من الناحية الهندسية والمعمارية؛ لإثبات التناقضات الواردة فيها.

٣- تم الاستشـهاد برسومات ونماذج الهيكل المزعوم وصوره، مـن خلال العديد مـن المواقع الإسـرائيلية الإلكترونية المخصصة لدراسـة ووصـف الهيكل طبقـا لما ورد بالتـوراة لإثبـات التناقض الواضـح فـي النصـوص التوراتية، والـذي انعكس بـدوره على هذه الرسومات والنماذج المجسمة.

---

(٣٤) تعرضت العديد من الدراسات للتناقضات والتحريف الموجود في الكتاب المقدس، ارجـع على سبيل المثال إلى: نعمات عبد الـرازق السامرائي(٢٠٠٣) التوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص، ط (٢) دار الحكمة، لندن.

كمـا تعرضت بعض الأبحاث لنقض مزاعم وجود الهيـكل المزعوم بصفة عامة، انظر: صالح حسين الرقب(٢٠٠٢) نقض المزاعم الصهيونية في هيكل سليمان مجلة الجامعة الإسلامية – المجلد العاشر، العدد الأول، كلية أصول الدين، غزة، ص (٤١) – (٩١).

ثانيًا: وصف الهيكل المزعوم كما ورد في التوراة:

الهيــكل كلمة يقابلها فــي العبرية (بيت همقــداش)؛ أي بيت المقدس أو (هيخــال)، وهي كلمة تعني البيت الكبير في كثير من اللغات الســامية (الأكادية والكنعانية وغيرهمــا)، والبيت الكبير أو العظيم هو الطريقة التي كان يشــار بها إلى مســكن الإله، فكلمة (فرعون) تعني (البيت الكبير) وهي تشــبه إلى حدٍّ ما عبارة الباب العالــي، وقد تبــدَّت الطبقة الحلولية اليهوديــة التي تراكمت داخل التركيب الجيولوجي اليهودي في شــكل تقديس الأرض الذي تمثَّل في عبادة يســرائيل والعبــادة القربانية المركزيــة المرتبطة بالدول العبرانية المتحدة (١٠٢٠ ق. م) التي قام الكهنة بالإشــراف على إقامة شعائرها، ومركز هذه العبادة القربانية هو الهيكل.

ومن أهم أســماء الهيكل (بيت يهوه)؛ لأنه أساسًا مسكن للإله وليــس مكانًا للعبادة (على عكس الكعبة مثلاً)، ومن هنا ورغم أنه كان مصرحًا للكهنة بل لعبيد الهيكل بالدخول فيه، فلم يكن يُسمح لهم بالتحرك فيه بحريةٍ كاملة، ولم يكن يسمح لأحدٍ على الإطلاق بدخول قدس الأقداس إلاَّ الكاهن الأعظم في يوم الغفران[٣٥].

لقد ورد وصف تفصيليّ لهيكل ســليمان المزعوم من حيث زمن بنائه ومقاساته ومواد البناء المستخدمة والمساحة الكلية، في بعض أسفار التوراة نُفصلها فيما يلي:

- ســفر الملــوك الأول- مــن الإصحــاح الخامس إلــى الإصحاح الثامن.
- سفر الملوك الثاني- الإصحاح الخامس والعشرون.

---

(٣٥) عبد الوهــاب المسيري(١٩٩٩) موسوعة اليهود واليهوديــة والصهيونية ج(٤) دار الشروق القاهرة.

• سفر أخبار الأيام الثاني- من الإصحاح الثاني إلى الإصحاح الرابع.
• سفر حزقيال- من الإصحاح الأربعين إلى الإصحاح الثاني والأربعين.

كما ورد في سفر عزرا- الإصحاحين الثالث والسادس، ذكر إعادة بناء الهيكل (الثاني) مرةً أخرى بعد العودة من السبي البابلي، ولكن دون ذكر أوصاف تفصيلية عن هذا البناء كما في أوصاف الهيكل (الأول) الذي بناه الملك سليمان على حدِّ اعتقادهم، إلا إشارة واحدة إلى مقاسات أساس هذا الهيكل (الثاني)، ووصف لعدد صفوف الحجارة المستخدمة فيه.

مما سبق فإن هيكل سليمان المزعوم يتكون بناءً على وصف التوراة، من العناصر الأساسية التالية[٣٦]، انظر شكل (٩-أ.ب،ج):

١- رواق المدخل (G) وأمامه عمودان (بوعز وياكين)(H)

٢- صالة الكهنة (D)، وبها الشمعدانات السباعية الأفرع (F) وموائد الخبز (E) ومذبح البخور (C).

٣- غرفة قدس الأقداس (A)، وبها تابوت العهد (B).

٤- غرف تحيط بالمبنى من ثلاث جهات (الشمال والجنوب والغرب) (L).

٥- بحر البرونز الدائري أمام المبنى (I).

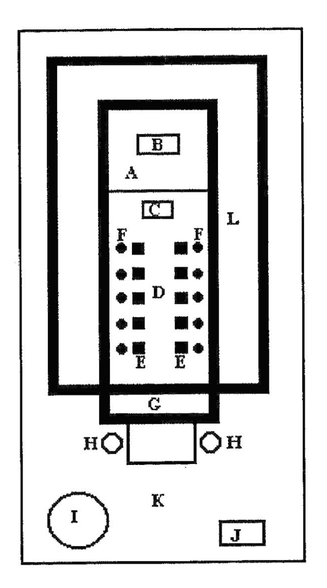
٦- مذبح القرابين أمام المبنى (J).

٧- العديد من المباني والساحات المكشوفة، حسبما ورد في سفر حزقيال.

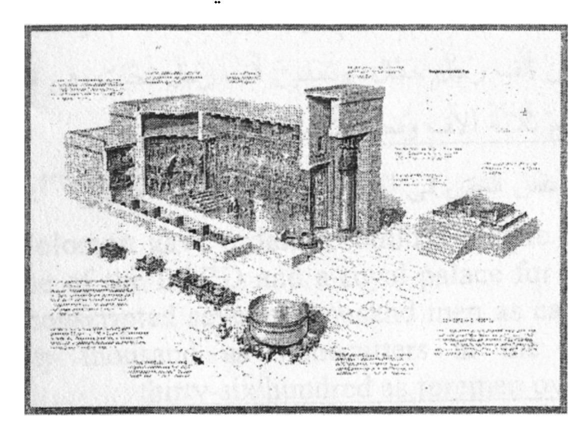
٨- سور مربع يحيط بكل ما سبق، حسبما ورد في سفر حزقيال.

---

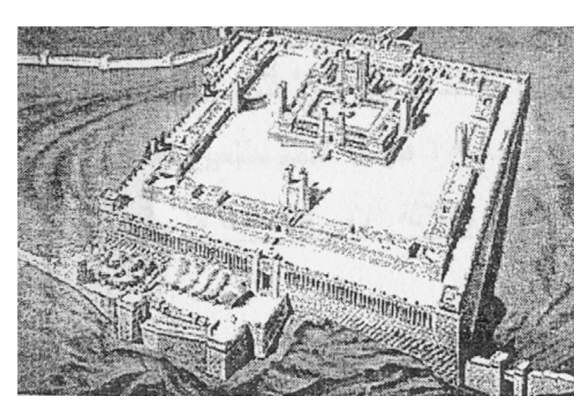
(٣٦) انظر أيضا وصف الهيكل المزعوم في www.templeinstitute.org.



شكل (٩-أ) : مسقط أفقي يوضح المكونات الأساسية للهيكل المزعوم،
كما ورد وصف عناصره في التوراة.



شكل(٩-ب) : قطاع منظوري يوضح المكونات الأساسية للهيكل المزعوم،
كما ورد وصف عناصره في التوراة.



شكل(٩-ج) : منظور تخيلي يوضح الهيكل المزعوم والمباني والساحات التي حوله، وأخيرا السور المربع الذي يحيط بها حسبما ورد وصفه في سفر حزقيال بالتوراة (منقول عن: www.phoenicia.org)

ثالثًا: التناقضات الواردة في وصف التوراة للهيكل المزعوم:

١- التناقض في أعداد الوكلاء المشرفين على العمال:

أوردت بعض النصوص التوراتية أعداد العمال الذين استخدمهم سليمان، في تقطيع حجارة الهيكل من الجبل وأعداد العمال الذين يحملون الحجارة وينقلونها، وأخيرًا العمال المشرفين على عمال التقطيع وعمال الحمل، وهو ما يتضح من خلال النصوص التوراتية الآتية:

• ورد في سفر الملوك الأول- الإصحاح الخامس. (الفقرتان ١٥، ١٦) ما يلي:[٣٧]

(١٥ وكان لسليمان سبعون ألفًا يحملون أحمالاً، وثمانون ألفًا يقطعون في الجبل ١٦ ما عدا رؤساء الوكلاء لسليمان الذين على

(٣٧) الكتاب المقدس(١٩٧٠) دار الكتاب المقدس، القاهرة، ص (٥٣٩).

العمـل ثلاثة آلاف وثلاث مئة، المتسـلطين على الشـعب العاملين العمل)

وقد ورد النص السابق في التوراة باللغة الإنجليزية كما يلي[٣٨]:

(15 Solomon also had 70.000 common laborers and 80.000 stonecutters in the hills. 16 besides 3.300 officials who supervised the workers).

• أما في سفر أخبار الأيام الثاني- الإصحاح الثاني (الفقرتان ١، ٢)، ورد النص التالي[٣٩]:

(وأمر سـليمان ببناء بيت لاسـم الرب، وبيت لِمُلكه، وأحصى سـليمان سـبعين ألف رجل حَمَّـال، وثمانين ألف رجـل نحّات في الجبل، ووكلاء عليهم ثلاثة آلاف وست مئة).

ورد نفس النص في التوراة باللغة الإنجليزية كما يلي[٤٠]:

(1 Solomon gave orders to build a temple for the name of the LORD and a royal palace for himself. 2 He conscripted seventy thousand men as carriers and eighty thousand as stonecutters in the hills and thirty-six hunder as foremen over them).

كما ورد في سفر أخبار الأيام الثاني- الإصحاح الثاني (الفقرتان

(٣٨) انظر النسخة الإنجليزية للتوراة **New lnternational version** في الموقع التالي**www.biblegateway.com**.

(٣٩) الكتاب المقدس- المرجع السابق، ص ٦٨١.

(٤٠) انظر النسخة الإنجليزية للتوراة: **New International Version** الموقع الإلكتروني السابق.

١٧ ، ١٨) ، ما يلي[٤١] :

(وَعَدَّ سليمانُ جميعَ الرجال الأجنبيين الذين في أرض إسرائيل ، بعـد العدِّ الذي عدَّهم إيَّاه داود أبوه ، فوجدوا مئة وثلاثة وخمسـين ألفًا وسـت مئة فجعل منهم سـبعين ألف حمال ، وثمانين ألف قطاع على الجبل ، وثلاثة آلاف وست مئة وكلاء لتشغيل الشعب) .

وقد ورد بالنص الإنجليزي للتوراة كما يلي[٤٢] :

(17 solomon took a census of all the aliens who were in israel, after the census his father David had taken, and they were found to be 153.600. 18 He assigned 70.000 of them to be carriers and 80.000 to be stonecutters in the hills, with 3.600 foremen over them to keep the people working).

بدراسـة النصوص التوراتية السـابقة ، يتضح لنـا أن النص الأول الـوارد في سـفر الملـوك الأول يحدد عدد الوكلاء المشـرفين على العمـال بثلاثـة آلاف وثـلاث مئـة (٣٣٠٠) ، أما النصـان الآخران الواردان في سـفر أخبار الأيـام الثاني فيحددهم بثلاثة آلاف وسـت مئة (٣٦٠٠) ، وهذا يعني أنه يوجد فرق بين الرقمين مقداره ثلاث مئة (٣٠٠) عامل ، فأيهما نُصدق . . وأي الرقمين هو الصحيح ؟ ؟

إن التناقـض الواضـح فـي عـدد المشـرفين على العمـال الذين يقطعـون الحجارة أو يحملونها ، لهو دليلٌ قاطعٌ على وجود خللٍ في النصوص التوراتية السابقة ، ويُشكك في مصداقيتها .

---

(٤١) الكتاب المقدس: المرجع السابق، ص (٦٨٢).

(٤٢) النسخـــة الإنجليزية للتوراة: New International Version الموقع الإلكتروني السابق.

٢- التناقض في مقاسات الهيكل المزعوم:

ورد في بعض النصوص التوراتية: المقاسات التفصيلية للهيكل المزعوم، طولاً وعرضًا وارتفاعًا، وهو ما يتضح من النصوص التالية:

ورد في سفر الملوك الأول- الإصحاح السادس (الفقرات ١ - ٣)، ما يلي[٤٣] :

(وكان في سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر، في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل، في شهر زِيُو وهو الشهر الثاني، أنه بنى البيت للرب، والبيت الذي بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعًا، وعرضه عشرون ذراعًا، وسمكه ثلاثون ذراعًا، والرواق قُدَّام هيكل البيت طوله عشرون ذراعًا حسب عرض البيت، وعرضه عَشرُ أذرع قُدَّام البيت).

وقد ورد في النسخة الإنجليزية للتوراة: ما يلي[٤٤] :

(1 in the four hundred and eightieth year after the israelites had come out of Egypt, in the fourth year of solomon's reign over israel. In month of Ziv. The second month. He began to build the temple of the LORD. 2 The temple that King Solomon built for the LORD was sixty cubits long, twenty wide and thirty high. 3 The portico at the front of the main hall of the temple extended the width of the temple. That is twenty cubits, and projected ten cubits from the front of the temple).

---

(٤٣) الكتاب المقدس: المرجع السابق، ص(٥٣٩).

(٤٤) النسخة الإنجليزية للتوراة: New International Version الموقع الإلكتروني السابق.

كما ورد في سفر أخبار الأيام الثاني- الإصحاح الثالث (الفقرات من ١- ٤) ما يلي[٤٥] :

(وشَــرَعَ ســليمان فــي بنــاء بيت الرب فــي أورشــليم، في جبل المريا؛ حيث تراءى لداود أبيه، حيث هيَّأ داود مكانًا في بيدر أرنان اليبوســي. وشَرَع في البناء في ثاني الشــهر الثاني في السنة الرابعة لمُلكــه. وهذه أسســها ســليمان لبناء بيت الله الطــول بالذراع على القِياس الأول ستون ذراعًا والعرض عشرون ذراعًا والرواق الذي قُدَّام الطول حســب عرض البيت عشــرون ذراعًا وارتفاعه مئة وعشرون، وغَشَّاهُ من داخل بذهبٍ خالص).

وقد ورد في النسخةً الإنجليزية للتوراة ما يلي[٤٦] :

(Then Solomon began to build the house of the LORD at Jerusalem in mount Moriah, where the Lord appeared unto David his father, in the place that David had prepared in the threshingfloor of Ornan the Jebusite. 2 And he began to build in the second day of the second month, in the fourth year of his reign 3Now these are the things wherein Solomon was instructed for the building of the house of God. The length by cubits after the first measure was threescore cubits, and the breadth twenty cubits. 4And the porch that was in the front of the house, the length of it was according to

(٤٥) الكتاب المقدس: المرجع السابق، ص(٦٨٣).

(٤٦) النســخــة الإنجليزية للتوراة، نسخة الملك جيمس. انظر الموقع الإلكتروني التالي : www.ccel.org

the breadth of the house, twenty cubits, and the height was an hundred and twenty: and he overlaid it within with pure gold).

بدراسة النص الأول الوارد في سفر الملوك الأول نجده يحدد طول البيت الهيكل بأنه ستون ذراعًا وعرضه عشرون ذراعًا كما يحدد سمكه أي ارتفاع الهيكل بثلاثين ذراعًا (٣٠ ذراعًا) ، كما يوضح أن الهيكل يتقدمه رواق طوله عشرون ذراعًا مساويًا لعرض الهيكل وعرضه عشر أذرع ، ولم يحدد ارتفاع الرواق في هذا النص .

أما النص الثاني الوارد في سفر أخبار الأيام الثاني فيحدد طول الهيكل بستين ذراعًا وعرضه بعشرين ذراعًا ، كما ورد بالنص الأول ولم يذكر الارتفاع كما يحدد مقاسات الرواق الذي يتقدم الهيكل بأن طوله عشرين ذراعًا ولم يحدد عرضه وحدد ارتفاع الرواق بمئة وعشرين ذراعا (١٢٠) ذراعًا .

وبالجمع بين ما ورد في النصين السابقين يتضح لنا أن مقاسات الهيكل والرواق الذي يتقدمه كما يلي :

١- طول البيت (الهيكل) ستون ذراعًا وعرضه عشرون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعًا .

٢- طول رواق المدخل الذي يتقدم الهيكل عشرون ذراعًا مساويًا لعرض الهيكل ، وعرض الرواق عشر أذرع وارتفاعه مئة وعشرون ذراعًا .

إن ما يلفت النظر هنا أن ارتفاع الهيكل هو ثلاثون ذراعًا (أي حوالي ١٥ مترا تقريبًا) ، وأن ارتفاع الرواق الذي يتقدمه هو مئة وعشرون ذراعًا (أي حوالي ٦٠ مترًا تقريبًا) وهو ما يمثل تناقضًا معماريًا وهندسيًا واضحًا ؛ لأنه لا يمكن للرواق الذي يعتبر بمثابة مدخل للهيكل أن يكون ارتفاعه أربعة أضعاف ارتفاع الهيكل نفسه ،

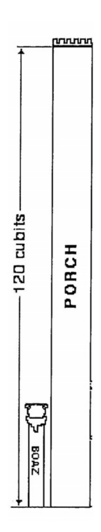
شــكل(١٠) ، وهو ما يتنافى مع كافة التصميمات المتعارف عليها في كل المباني الأثرية والتاريخية القديمة.

لقــد أدَّى هــذا التناقض الواضح غيــر المبرر بيــن ارتفاع مدخل الهيكل (١٢٠ ذراعًا) ، وارتفاع مبنى الهيكل نفســه (٣٠ ذراعًا) ، إلــى أن يعترف بذلك أحد الباحثيــن الغربيين (اليهود) وهو «توني باديللو» TONY BADILLO حيث يقول[٤٧] :

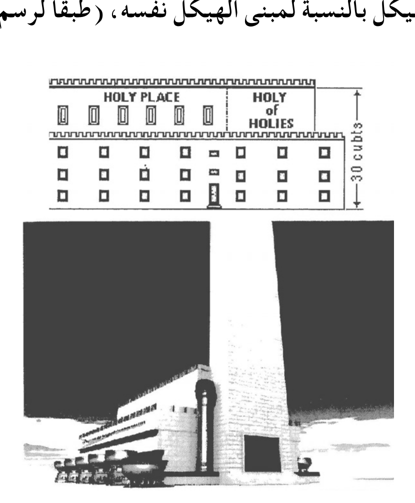
(Drawing at left: this shows what Solomon's temple would look like with a height of 30 cubits (I Kgs 6:2) and a Porch of 120 (II Chr, 3:4), not very visually appealing. No ancient or modern architect would want to claim such a miscreation, the Porch is four times the height of the building).

لقد اعتــرف صراحةً بأنه طبقًا لوصف التــوراة فإن ارتفاع مدخل الهيكل يســاوي أربعــة أضعاف ارتفــاع مبنى الهيكل نفســه ، وهي نسب غير جذابة بالمرة من الناحية البصرية.

(٤٧) انظر الموقع الإلكتروني التـالي:
www.kingsolomonsastonishingtemplesecrets.org



شكل (١٠-أ) : رسم تخيلي حسبما ورد في وصف التوراة، يوضح مدى التناقض في ارتفاع مدخل الهيكل بالنسبة لمبنى الهيكل نفسه، (طبقا لرسم توني باديللو) .



شكل(١٠-ب) : رسومات تخيلية حسب الارتفاعات الحقيقية للمدخل كما ورد في وصف التوراة، توضح مدى عدم التناسب في ارتفاع مدخل الهيكل بالنسبة لمبنى الهيكل نفسه. (منقول عن الإنترنت) .

لقد اضطر توني باديللو إلى اللجوء إلى تفسيرات شاذة لتبرير هذا التناقض فيدعي بأن هذه المقاسات المتناقضة تحمل معاني ورموزا جنسية ؛ حيث يرى أن مدخل الهيكل بارتفاعه الكبير هذا يرمز إلى الأعضاء الجنسية الذكرية ، وهو ما يتضح من النص الأصلي باللغة الإنجليزية كما يلي[٤٨] :

(The 120 cubit Porch is the male genital organ, here symbolizing procreation. The Temple's entrance, which had no doors, is the woman's birth canal. Temple Man's genitalia is androgynous depicting both genders)

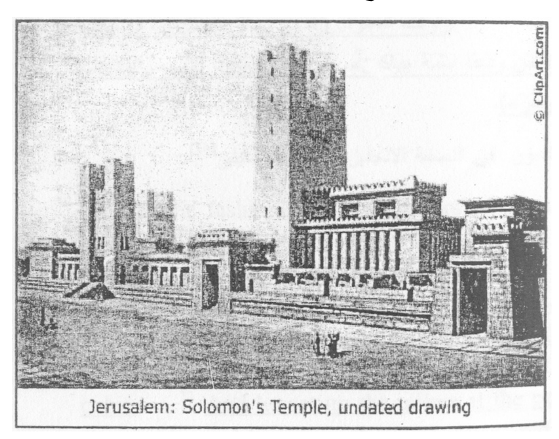
إن النص الأول يحدد ارتفاع الهيكل بثلاثين ذراعًا (٣٠ ذراعا) ، أما النص الثاني فيحدد ارتفاع الرواق بمئة وعشرين ذراعًا (١٢٠ ذراعًا) فأيهما نصدق ؟ .

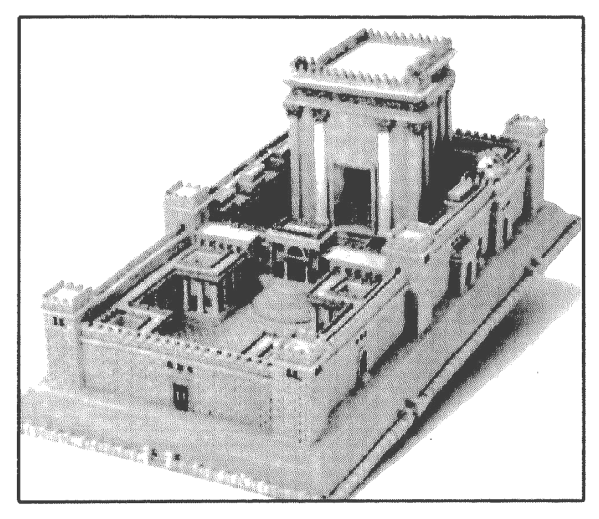
ونتيجةً لهذا التناقض الهندسي الواضح وبالرجوع للرسومات المعمارية الهندسية للهيكل المزعوم حسب وصف التوراة التي أعدها الآثاريون والمعماريون الإسرائيليون أنفسهم[٤٩] نجد التناقض الواضح في رسوماتهم ؛ حيث رسم بعضهم الرواق الذي يتقدم الهيكل إما مساويًا لارتفاع الهيكل نفسه (حسبما ورد في سفر الملوك الثاني) أو أقل منه ارتفاعًا ، وفي بعض الرسومات القليلة جدًّا تم رسم ارتفاع الرواق أعلى كثيرًا من ارتفاع الهيكل حسبما ورد في سفر أخبار الأيام الثاني ، وكل هذا التناقض في الرسومات

(٤٨) المرجع نفسه.

(٤٩) العديد من هذه الصور للهيكل المزعوم موجودة على شبكة الإنترنت، ويتضح منها التناقض في المقاسات نتيجة التناقض في الروايات التي وردت بالنصوص التوراتية، انظر على سبيل المثال الموقع الإلكتروني التالي www.Templemodels.com.

التخيليـة الخاصة بالهيكل المزعوم نتيجة عدم منطقية ارتفاع رواق الهيكل بالنسبة إلى ارتفاع الهيكل نفسه، شكل (١١).





شكل (١١) : الصورة الأولى يظهر فيها الرواق بنفس ارتفاع الهيكل، أما في الصورة الثانية فيظهر الرواق أعلى من مبنى الهيكل، مما يوضح التناقض في النصوص التوراتية.

٣- التناقض في ارتفاع العمودين أمام رواق الهيكل:

حسبما ورد في بعض النصوص التوراتية فإنه قد تم وضع عمودين من النحاس أمام رواق الهيكل أحدهما اسمه (ياكين) والثاني اسمه (بوعز)، وهو ما يتضح من النصوص التالية:

ورد في سفر الملوك الأول- الإصحاح السابع (الفقرات ١٥-٢١) ما يلي[٥٠]:

(وصوَّر العمودين من نحاس، طول العمود الواحد ثمانية عشر ذراعا. وخيطٌ اثنتا عشرة ذراعًا يحيط بالعمود الآخر. وعمل تاجين ليضعهما على رأسي العمودين من نحاس مسبوك. طول التاج الواحد خمس أذرع، وطول التاج الآخر خمس أذرع.... وأوقف العمودين في رواق الهيكل. فأوقف العمود الأيمن ودعا اسمه (ياكين). ثم أوقف العمود الأيسر ودعا اسمه «بوعز»).

وقد ورد في النسخة الإنجليزية للتوراة ما يلي[٥١]:

(15 Thus he fashioned the two pillars of brass, of eighteen cubits high each; and a line of twelve cubits did compass it about; and so the other pillar 16 And he made two capitals of molten brass, to set upon the tops of the pillars; the height of the one capital was five cubits, and the height of the other capital was five cubits

21And he set up the pillars at the porch of the

---

(٥٠) الكتاب المقدس: المرجع السابق، ص (٥٤٢).

(٥١) نسخة التوراة باللغة الإنجليزية - العبرية، انظر الموقع الإلكتروني التالي: www.mechon-mamre.org.

temple; and he set up the right pillar, and called the name thereof Jachin; and he set up the left pillar, and called the name thereof Boaz)

كما ورد في سفر الملوك الثاني الإصحاح الخامس والعشرين الفقرات من ٨ -١٧ ما يلي[٥٢] :

(وفي الشهر الخامس، في سابع الشهر، وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذناصر ملك بابل، جاء نبوزرادان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم. وأحرق بيت الرب وبيت الملك، وكل بيوت أورشليم، وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار... والعمودان والبحر الواحد والقواعد التي عملها سليمان لبيت الرب، لم يكن وزنٌ لنحاس كل هذه الأدوات ثماني عشرة ذراعًا ارتفاع العمود الواحد، وعليه تاج من نحاس، وارتفاع التاج ثلاث أذرع، والشبكة والرمانات التي على التاج مستديرة جميعها من نحاس. وكان للعمود الثاني مثل هذه على الشبكة).

وقد ورد في النسخة الإنجليزية للتوراة ما يلي[٥٣] :

(8 nineteenth year of king Nebuchadnezzar king of Babylon, came Nebuzaradan, captain of the guard, a servant of the king of Babylon, unto Jerusalem: 9 And he burnt the house of the LORD, and the king's house, and all the houses of Jerusalem, and every great man's house burnt he with fire 16 The two pillars, one sea, and the bases which Solomon had made for the house

---

(٥٢) الكتاب المقدس: مرجع سابق، ص (٦٣١).

(٥٣) النسخة الإنجليزية للتوراةنسخة الملك جيمس: مرجع سابق.

of the LORD; the brass of all these vessels was without weight 17 The height of the one pillar was eighteen cubits, and the chapiter upon it was brass: and the height of the chapiter three cubits; and the wreathen work, and pomegranates upon the chapiter round about, all of brass: and like unto these had the second pillar with wreathen work)

كما ورد في سـفر أخبار الأيام الثاني الإصحـاح الثالث الفقرات من ١٥- ١٧ ما يلي[٥٤] :

(وعمـل أمام البيـت عموديـن طولهما خمـس وثلاثـون ذراعًا والتاجان اللذان على رأسـيهما خمس أذرع. وعمل سلاسل كما في المحراب وجعلها على رأسي العمودين وعمل مئة رمانة وجعلها في السلاسـل. وأوقف العمودين أمام الهيكل واحدًا عن اليمين وواحدًا عن اليسار، ودعا اسم الأيمن (ياكين) واسم الأيسر «بوعز»).

وقد ورد في النسخة الإنجليزية للتوراة ما يلي[٥٥] :

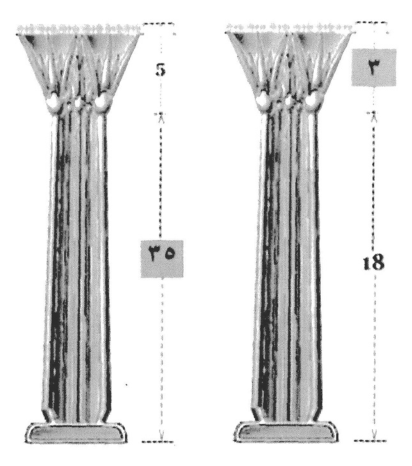
(15 Also he made before the house two pillars, of thirty and five cubits high, and the chapiter that was on the top of each of them was five cubits 16 And he made chains in the Sanctuary, and put them on the tops of the pillars; and he made a hundred pomegranates, and put them on the chains 17 And he set up the pillars before the temple, one on the right hand, and the other

(٥٤) الكتاب المقدس مرجع سابق، ص (٦٨٤).

(٥٥) نسخة التوراة باللغة الإنجليزية – العبرية: موقع إلكتروني سابق.

on the left; and called the name of that on the right hand Jachin, and the name of that on the left Boaz)

من النصين الواردين في سـفر الملوك الأول والثاني يتضح لنا أن طول العمود الواحد هو ثمانية عشـر ذراعًـا ، ولكن النصَّ الوارد في سفر الملوك الأول يوضح أن ارتفاع تاج العمود هو خمسة أذرع ، أما النص الوارد في سفر الملوك الثاني يوضح أن ارتفاع تاج العمود هو ثلاثة أذرع . . فأيهما نصدق ؟ ؟ أما النص الثالث الوارد في سفر أخبار الأيـام الثاني فيتضح منه أن طول العمود هو خمسـة وثلاثون ذراعًا ويحمل تاجًا ارتفاعه خمسة أذرع ، شكل(١٢) .



شكل(١٢) : أيهما نصدق ؟ ؟ . . ارتفاع العمود ١٨ ذراعا كما ورد في سفر الملوك الأول ، أم أن ارتفاع العمود هو ٣٥ ذراعا كما ورد في سفر أخبار الأيام الثاني ، . . وهل ارتفاع تاج العمود هو ٥ أذرع أم ٣ أذرع ؟ ! .

بالنظر للنصوص الثلاثة السـابقة يتضح التناقض الكبير في ذكر ارتفـاع هذيـن العمودين فهل ارتفاع العمود هـو ١٨ ذراعًا كما ورد في سـفر الملوك الأول والثاني أم ٣٥ ذراعًا كما ورد في سـفر أخبار الأيام الثاني ؟ ، وهل ارتفاع تاج العمود هو خمسـة أذرع كما ورد في

سـفر الملوك الأول وسـفر أخبار الأيام الثاني أم ثلاثة أذرع كما ورد في سفر الملوك الثاني ؟.

ونجد أن أحد الباحثيـن الغربيين (اليهود) يلاحظ هذا التناقض بيـن ارتفـاع العمودين ويدعي أنـه لا بد أن يكـون طولهما هو ١٨ ذراعًـا وموضوعـان فوق سـقف مدخل يرتفع ١٧ ذراعًـا ليتم تبرير التناقض في ذكر ارتفاع العمودين حيث يقول[٥٦] :

(the length of the columns jachin and boaz is given twice as 18 cubits (9m) and once as 35 cubits (17.5m) (1 kings 7: 1521.2- kings 25:17.2 chronicles 3:15). If the latter is not an error then how can we explain this? Fortunately there are some pictures of Phoenician temples left ,for instance of a tempe on Cyprus on coins. They show that Phoenician temples always had an entrance with two high columns in the shape of an h. Solomon's temple was also built by phoenicians. Is seems the most likely to me that the two columns stood on the roof above the entrance, on a gate of 17 cubits high, so they were 35 cubits high in total. In Iran there are many mosques that have two minartes above the entrance.)

لقـد أدى هـذا التناقض في ذكـر ارتفاع العموديـن اللذين يقفان علـى يميـن ويسـار مدخـل رواق الهيـكل إلـى أن بعـض الأثريين

---

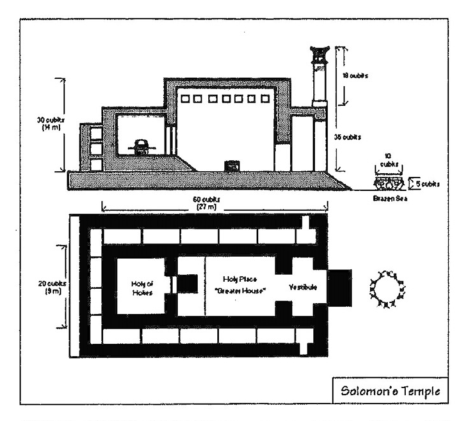
(٥٦) What did solomons temple look like? by E.J. de see meester. ln: www.home-(3).tiscali.nl/-meester(7)/engtemple.html future

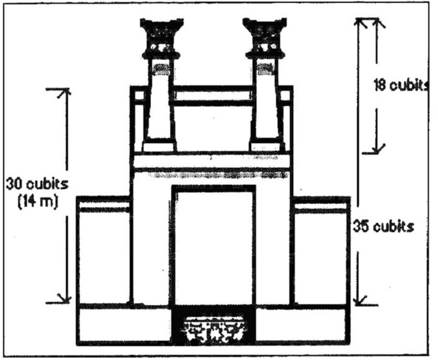
الإسرائيليين اضطر إلى رسم العمودين على سقف رواق المدخل، حتى يتمكن من الجمع بين المقاسين المتناقضين الذين وردا في النصين السابقين بحيث يكون ارتفاع العمود هو ١٨ ذراعًا كما ورد بالنص الأول، ويتم وضعه على سقف الرواق الذي يرتفع عن الأرض ١٧ ذراعًا ليظهر الارتفاع النهائي لكل عمود ٣٥ ذراعًا كما ورد في النص الثاني، شكل (١٣).

والرد على ذلك ببساطة أن النص الوارد في سفر أخبار الأيام الثاني الإصحاح الثالث يؤكد بوضوح أن هذين العمودين قد تم وضعهما أمام الهيكل وليس فوق سقفه، وهو ما يتضح من النص المذكور في سفر أخبار الأيام الثاني السابق ذكره:

(وأوقف العمودين أمام الهيكل واحدًا عن اليمين وواحدًا عن اليسار، ودعا اسم الأيمن ياكين واسم الأيسر بوعز.)

إن التناقض الواضح في ذكر ارتفاع العمودين (ياكين) و(بوعز)، وكذلك في ارتفاع التاج الذي يعلوهما لا يمكن تبريره مطلقًا بمثل هذه المبررات الساذجة، والتي لا يمكن أن تنطلي إلا على غير المتخصصين، أو الذين لا يريدون أن يعترفوا حقيقة وجود هذه التناقضات الواضحة في مقاسات العمودين المسميين (ياكين) و(بوعز)، حسب رواية التوراة المزعومة.





شكل(١٣) : إحدى الرسومات التي توضح وضع العمودين على سقف رواق المدخل، وليس أمامه كما ورد بالنصوص التوراتية، من أجل التوفيق بين المقاسات المتناقضة التي وردت بالتوراة بخصوص ارتفاع هذين العمودين.

٤- التناقض في سعة ومقاسات البحر الدائري:

من العناصر التي ورد ذكرها في وصف الهيكل المزعوم، حوض دائري من البرونز كان موضوعًا أمام الهيكل وكان مملوءًا بالماء؛ حيث يغتسل فيه كهنة الهيكل، شكل (١٤) وقد وردت أوصاف ومقاسات وسعة هذا الحوض أو البحر في النصين التاليين:

ورد في سفر الملوك الأول- الإصحاح السابع (الفقرات

٢٣، ٢٦) ما يلي[٥٧] :

(وعمل البحر مسبوكًا . عشر أذرع من شفته إلى شفته، وكان مدورًا مستديرًا . ارتفاعه خمس أذرع، ومحيط ثلاثون ذراعًا يحيط به بدائره . . . . يسع ألفي بث)

وقد ورد في النسخة الإنجليزية للتوراة ما يلي[٥٨] :

(23 And he made the molten sea of ten cubits from brim to brim, round in compass, and the height thereof was five cubits, and a line of thirty cubits did compass it round ..... 26 And it was a hand- breadth thick; and the brim thereof was wrought like the brim of a cup, like the flower of a lily; it held two thousand baths).

كما ورد في أخبار الأيام الثاني - الإصحاح الرابع (الفقرات ٢، ٣) ما يلي[٥٩] :

(وعمل البحر مسبوكًا عشر أذرع من شفته إلى شفته، وكان مدورًا مستديرًا، وارتفاعه خمس أذرع، ومحيط ثلاثون ذراعًا يحيط بدائره . . . يأخذ ويسع ثلاثة آلاف بث)

وقد ورد في النسخة الإنجليزية للتوراة ما يلي[٦٠] :

(2 Also he made the molten sea of ten cubits from brim to brim, round in compass, and and the height thereof was five cubits; and a line of thirty cubits did

(٥٧) الكتاب المقدس: مرجع سابق، ص (٥٤٢).

(٥٨) نسخة التوراة باللغة الإنجليزية - العبرية: موقع إلكتروني سابق.

(٥٩) الكتاب المقدس: مرجع سابق، ص (٦٨٤).

(٦٠) نسخة التوراة باللغة الإنجليزية - العبرية: موقع إلكتروني سابق.

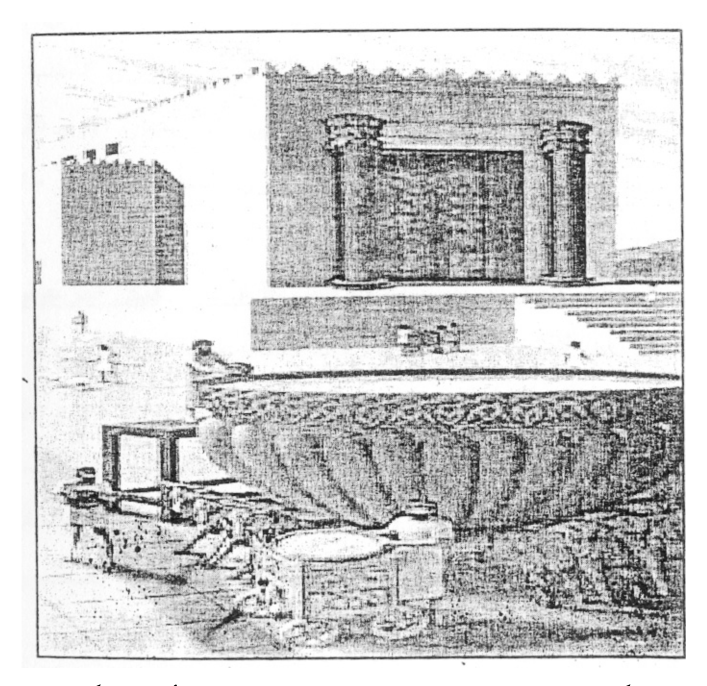
compass it round about 3 And it was a handbreadth thick; and the brim thereof was wrought like the brim of a cup, like the flower of a lily: it received and held three thousand baths).

بدراسة النصين السابقين يتضح لنا تناقضان واضحان هما :

١- ورد في سفر الملوك الأول وأخبار الأيام الثاني أن البحر دائري الشكل قطره عشر أذرع من شفته إلى شفته وأن محيطه الدائري يساوي ثلاثين ذراعًا .

إن القانون الرياضي المعروف الذي يربط ما بين محيط الدائرة ونصف قطرها هو : محيط الدائرة = ٢ط نق (حيث نق هو نصف قطر الدائرة و(ط) نسبة تقريبية ثابتة ٢٢ / ٧) ، وهذا يعني أنه إذا كان قطر البحر هو ١٠ أذرع فإن محيط البحر يجب أن يكون ٣١,٤ ذراعًا وليس ٣٠ ذراعًا ، كما جاء في النصوص التوراتية ؛ مما يدل على تحريف هذه النصوص .

٢- ورد في النص الأول أن هذا البحر الدائري يسع ألفي بث وحدة حجم ، أما النص الثاني فيقرر أن هذا البحر يأخذ ويسع ثلاثة آلاف بث ، وهو تناقض واضح لا لبس فيه ، فأي النصين نصدق ؟ ! .



شكل(١٤) : رسم تخيلي للبحر الدائري الذي كان أمام الهيكل.

٥- التناقض في وزن الذهب المرسل إلى سليمان:

ورد في العديد من النصوص التوراتية أنه قد تم استخدام الذهب، لكسوة حوائط الهيكل وأبوابه وبعض عناصره، وقد ورد في النصين التاليين ما يفيد بأن الملك (حورام) ، الذي استعان به سيدنا سليمان في بناء الهيكل المزعوم قد أرسل من مدينة أوفير ذهبا مع عبيده وعبيد سيدنا سليمان ويتضح من مقارنة النصين تناقض واضح في وزن ذلك الذهب المرسل :

ورد في سفر الملوك الأول- الإصحاح التاسع الفقرة ٢٨ ما يلي[٦١] :

(٦١) الكتاب المقدس: مرجع سابق، ص (٥٥١).

.. (فأتوا إلى أوفير وأخذوا من هناك ذهبًا أربع مئة وزنة وعشرين وزنة، وأتوا بها إلى الملك سليمان)

وقد ورد في النسخة الإنجليزية للتوراة ما يلي[٦٢] :

(28 And they came to Ophir, and fetched from thence gold, four hundred and twenty talents, and brought it to king Solomon)

كما ورد في سفر أخبار الأيام الثاني- الإصحاح الثامن الفقرة ١٨ ما يلي[٦٣] :

(وأرسل له حورام بيد عبيده سفنا وعبيدًا يعرفون البحر فأتوا مع عبيد سليمان إلى أوفير وأخذوا من هناك أربع مئة وخمسين وزنة وأتوا بها إلى الملك سليمان).

وقد ورد في النسخة الإنجليزية للتوراة ما يلي[٦٤] :

(18 And Huram sent him by the hands of his servants ships, and servants that had knowledge of the sea; and they came with the servants of Solomon to Ophir, and fetched from thence four hundred and fifty talents of gold, and brought them to king Solomon).

أي من النصين هو الصحيح وأيهما نصدق.. ففي النص الأول الوارد في سفر الملوك الأول أن وزن الذهب هو ٤٢٠ وزنة، أما في النص الثاني الوارد في سفر أخبار الأيام الثاني فإن وزن الذهب هو ٤٥٠ وزنة.. هل وزن الذهب كان ٤٢٠ أم ٤٥٠ وزنة؟.

---

(٦٢) نسخة التوراة الإنجليزية - العبرية: موقع إلكتروني سابق.

(٦٣) الكتاب المقدس: مرجع سابق، ص (٦٩٢).

(٦٤) نسخة التوراة باللغة الإنجليزية - العبرية: موقع إلكتروني سابق.

٦- أحجار حائط البراق تثبت أنه ليس جزءًا من الهيكل المزعوم:

حائط البراق من أهم الآثار الاسلامية المرتبطة بالحرم القدسي الشريف، ويشكل الجزء الجنوبي الغربي من جدار الحرم ويبلغ طوله ٤٨ مترًا وارتفاعه حوالي ١٧ مترًا، ويعدّ من الأملاك الإسلامية لأنه يُشكل جزءًا من الحرم القدسي الشريف، وله علاقة وطيدة برحلة الإسراء والمعراج؛ حيث يعتقد المؤرخون المسلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم ربط فيه البراق[٦٥] .

وبالرغم من أن اليهود لا يملكون أي حق قانوني بهذا الحائط إلا أن سماحة المسلمين أذنت لليهود بزيارة هذا الحائط والبكاء خلفه، ومن هنا أطلقوا عليه زورًا وكذبًا اسم حائط المبكى، وكذلك فإن هذا الحائط لم يكن موقع عبادة عند اليهود حتى القرن السادس عشر الميلادي كما ورد في الموسوعة اليهودية[٦٦] .

وعليه فإن اليهود بشهادتهم يتخذون من حائط البراق أو الحائط الغربي، مكانًا للصلاة منذ القرن السادس عشر فقط، وقد تكررت محاولات اليهود للاستيلاء على هذا الحائط في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين إلى أن وقعت ثورة البراق بتاريخ ٢٣ / ٨ / ١٩٢٩م والتي قُتل فيها العشرات من العرب واليهود، وتمخّضت عن تشكيل لجنة دولية لتحديد حقوق العرب واليهود في حائط البراق، وكانت اللجنة برئاسة وزير خارجية

(٦٥) عبد التواب مصطفى(٢٠٠٦) قضية القدس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ص (٤٩).

(٦٦) للمزيد من التفاصيل انظر: جهاد العايش(٢٠٠٧) حائط البراق، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، قبرص.

سـابق للسـويد وعضوية شـخص سويسـري وآخر هولندي، وبعد تحقيق قامت به هذه اللجنة وضعت تقريرًا في سـنة ١٩٣٠م أيَّدت فيه حق المسـلمين الذي لا شـبهة فيه بملكية حائـط البراق، وقال التقرير[٦٧] : «للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءًا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشـريف التي هي من أملاك الوقف وللمسـلمين، أيضًا تعود إليهم ملكيـة الرصيف الكائن أمام الحائط وأمـام المحلة المعروفة بحارة المغاربة، لكونه موقوفًا حسب أحكام الشرع الإسلامي».

ولكـن السـلطات الإسـرائيلية في عـام ١٩٦٧م اسـتولت على حائط البراق بعد أن هدمت حارة المغاربة، ووضعت يدها على باب المغاربة (أحد أبواب المسـجد الأقصى)، هذا عن الدليل التاريخي الـذي يثبـت أحقية المسـلمين لحائـط البراق، ولكـن يوجد أيضًا أدلـة أثريـة التي تثبت كذب ادعـاءات اليهود بأي حـقٍّ لهم في هذا الحائط؛ وذلك لأن التوراة قد أوردت وصفًا محددًا لشـكل الأحجار التي استخدمت في بناء الهيكل المزعوم.

فقـد ورد فـي الإصحـاح الخامس من سـفر أخبار الملـوك الأول الفقـرة ١٧ مـا يلـي[٦٨] : (وأمر الملـك أن يقلعوا حجـارة كبيرة حجارة كريمة لتأسيس البيت حجارة مربعة)

وقد ورد في النسخة الإنجليزية للتوراة ما يلي[٦٩] :

---

(٦٧) ميخائيـل مكسي إسكندر(١٩٧٢) القدس وبيت لحـم، طبعة جديدة مزيدة مكتبة المحبـة، القاهرة، ص (٧٠). انظر أيضا: عبد التواب مصطفى: المرجع السابق، ص (٤٨) وما بعدها.

(٦٨) الكتاب المقدس: مرجع سابق، ص (٥٣٩).

(٦٩) نسخة التوراة باللغة الإنجليزية – العبرية: موقع إلكتروني سابق.

(17 And the king commanded, and they quarried great stones, costly stones, to lay the foundation of the house with hewn stone).

كما ورد في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول (الفقرة ٢) ما يلي[٧٠]: (وأمر داود بجمع الأجنبيين الذين في أرض إسرائيل وأقام نحاتين لنحت حجارة مربعة لبناء بيت الله).

وقد ورد في النسخة الإنجليزية للتوراة ما يلي[٧١]:

(2 And David commanded to gather together the strangers that were in the land of Israel; and he set masons to hew wrought stones to build the house of God).

إذن النصان السابقان يحددان بوضوح أن الحجارة التي استخدمت في بناء كل أجزاء الهيكل المزعوم، كانت مربعة الشكل، في حين أن الأحجار المستخدمة في بناء حائط البراق (الحائط الغربي للحرم) وكل مباني القدس الأثرية مستطيلة الشكل؛ مما يعطي دليلاً دامغًا على مخالفة مقاسات الأحجار المستخدمة في بناء المسجد الأقصى بصفة عامة وحائط البراق بشكل خاص عما ورد في التوراة.

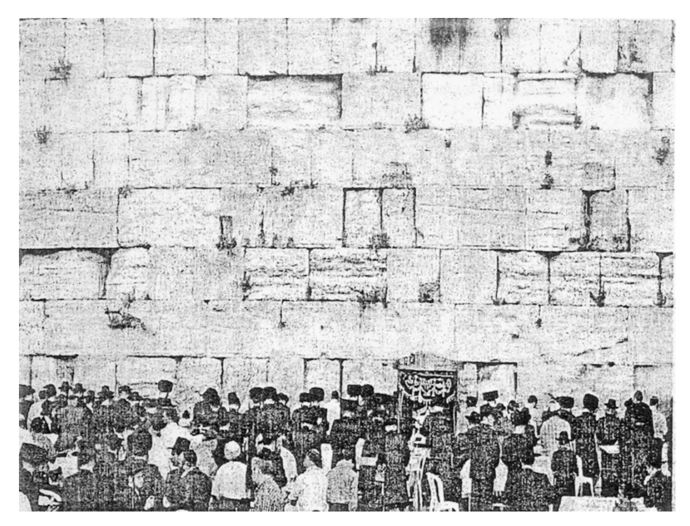
بالإضافة إلى أن التوراة تذكر أن الهيكل بيت الرب يجب أن تستخدم فيه حجارة غير منحوتة (سفر الملوك الأول ٥ : ١-١٨)، وهو ما يخالف الواقع المرئي؛ حيث إن جميع الحجارة الضخمة الكائنة في الحائط الغربي للحرم الشريف، ما هي إلا حجارة منحوتة، أي مستعمل في نحتها المناحت والمعاول، وهذا مخالف لما ورد بالتوراة[٧٢].

---

(٧٠) الكتاب المقدس: مرجع سابق، ص (٦٦٦)، (٦٦٧).

(٧١) نسخة التوراة باللغة الإنجليزية - العبرية موقع إلكتروني سابق.

(٧٢) المتعارف عليه من الناحية الهندسية والإنشائية أنه لا يتم استخدام الحجارة=



شكل (١٥) : حجارة حائط البراق(الحائط الغربي) مستطيلة الشكل وليست مربعة كما ورد بالتوراة، وهو ما أثبتته كل الحفريات الأثرية للحجارة الموجودة بأساسات المسجد الأقصى أيضا .

٧- المساحة الإجمالية لمباني وساحات الهيكل أكبر من مساحة مدينة القدس القديمة:

ورد في سفر حزقيال وصف تفصيليّ لعناصر الهيكل المزعوم مدعمًا بقياسات تفصيلية ودقيقة، من خلال رؤية منامية رآها حزقيال أحد أنبياء اليهود، كما ورد في التوراة، وأن إله بني إسرائيل قد أمره بأن يخبر شعبه بهذه الرؤيا .

وقد ورد في أول الرؤيا أن حزقيال قد رأى رجلاً وبيده قصبة للقياس طولها ست أذرع وشبر، وقد ورد هذا في سفر حزقيال–

= المربعة الشكل، في بناء كل حوائط وأساسات المباني القديمة أو الحديثة، بل يتم استخدام الحجارة المستطيلة الشكل بصفة أساسية، ويعد استخدام الوحدات المربعة في البناء أمرًا يتعارض مع المبادئ الهندسية والإنشائية المعروفة عند المتخصصين.

الإصحاح الأربعين (الفقرة ٥)، ما يلي[٧٣]:

(وإذا بسور خارج البيت محيط به وبيد الرجل قصبة القياس ست أذرع طولاً بالذراع وشبر).

وقد ورد في النسخة الإنجليزية للتوراة ما يلي[٧٤]:

(5 I saw a wall completely surrounding the temple area. The length of the measuring rod in the man's hand was six long cubits, and a handbreadth).

ثـم بدأ هذا الرجـل يصف لحزقيـال الهيكل وما حولـه من مبان وسـاحات وصفًا دقيقًا، مدعمًا بالقياسات مستخدمًا في ذلك قصبة القيـاس المذكـورة، وفي آخر الوصـف ذكر له أنه يوجد سـور مربع الشـكل يحيـط بالهيكل ومـا حوله من مبان وسـاحات مكشـوفة، وأن طـول ضلع هذا السـور هـو ٥٠٠ قصبة من قصبـة القياس، وهو مـا يتضح من النص التالـي الذي ورد في حزقيـال- الإصحاح الثاني والأربعين الفقرات من (١٥ إلى ٢٠)[٧٥]:

(فلمـا أتم قياس البيت الداخلي أخرجني نحو الباب المتجه نحو المشرق وقاسـه حواليه. قاس جانب المشرق بقصبة القياس خمس مئـة قصبة بقصبـة القياس حواليه. وقاس جانب الشـمال خمس مئة قصبة بقصبة القياس حواليه. وقاس جانب الجنوب خمس مئة قصبة بقصبـة القيـاس. ثـم دار إلى جانـب الغرب وقاس خمـس مئة قصبة بقصبة القياس. قاسه من الجوانب الأربعة، له سور حواليه خمس مئة

---

(٧٣) للمزيد من التفاصيل انظر: بديع العابد: الهوية المعمارية وأثرها في تحديد الهوية السياسية لمدينة القدس، انظر الموقع الإلكتروني www.palstine.info.net

والكتاب المقدس: مرجع سابق، ص (١٢٤١).

(٧٤) النسخـة الإنجليزيـة للتـوراة: New International Version موقـع إلكتروني سابق.

(٧٥) الكتاب المقدس مرجع سابق.

طولاً وخمس مئة عرضًا للفصل بين المقدس والمحلل).

وقد ورد في النسخة الإنجليزية للتوراة ما يلي[٧٦] :

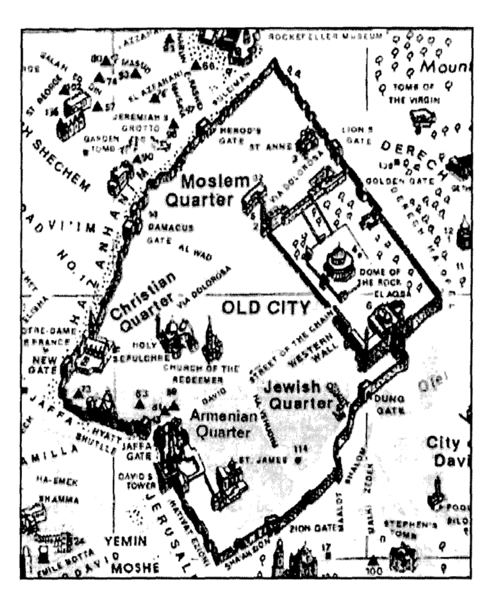
(15 Now when he had made an end of measuring the inner house, he brought me forth towards the gate whose prospect is towards the east, and measured it around about . 16 He measured the east side with the measuring reed, five hundred reeds, with the measuring reed round about. 17 He measured the north side, five hundred reeds, with the measuring reed round about. 18 He measured the south side, five hundred reeds, with the measuring reed. 19 He turned about to the west side, and measured five hundred reeds with the measuring reed. 20 He measured it by the four sides: it had a wall round about, five hundred reeds long, and five hundred broad, to make a separation between the sanctuary and the profane place).

إن ما ورد في سفر حزقيال يوضح أن المساحة الإجمالية للجزء المقدس الذي يحتوي الهيكل والمباني الأخرى والأفنية المحيطة به، تساوي المساحة التي يحيط بها السور المربع الخارجي ومقاساته ٥٠٠ قصبة من الأربع جهات، فإذا كان طول قصبة القياس حسبما ورد في الإصحاح الأربعين من سفر حزقيال هو ستة أذرع وشبر أي حوالي ٣,٢٠م، بفرض أن الذراع يساوي ٥٠ سم والشبر

(٧٦) النسخة الإنجليزية للتوراة (نسخة الملك جيمس): موقع سابق.

يساوي ٢٠سم، فإن مساحة الجزء المقدس الذي يحتوي على مبنى الهيكل المزعوم وما حوله من مبان وساحات مكشوفة داخل السور تكون حوالي ٢,٥٦كم مربعًا.

فإذا عرفنا أن مساحة مدينة القدس القديمة داخل الأسوار حوالي ١ كم مربعًا ، شكل (١٦) فإن هذا يعني أن المساحة الإجمالية للجزء المقدس للهيكل وما يحيط به أكبر بحوالي مرتين ونصف من مساحة القدس القديمة، وهو غير منطقي بالمرة وتكذبه كل الخرائط الأثرية والتاريخية.



شكل (١٦) : رسم منظوري لمدينة القدس القديمة داخل الأسوار، ويظهر المسجد الأقصى كجزء من المدينة، في حين أن سفر حزقيال يقرر أن مساحة الهيكل المزعوم أكبر من مساحة القدس القديمة بمرة ونصف، فهل هذا منطقي أم إنه يتنافى مع التاريخ والواقع؟!.

ومن كل ماسبق توصلنا إلى النتائج المهمة التي نفصلها فيما يلي:

١- المسجد الأقصى المبارك الوارد ذكره في كتاب الله الكريم في الآية الأولى من سورة الإسراء، هو البقعة المباركة التي يطلق عليها الآن الحرم القدسي المحاطة بالسور العظيم وما بني فوقها من مبانٍ وآثار، ويأتي على رأسها المسجد القبلي (المغطى) وقبة الصخرة.

٢- المسجد الأقصى في عقيدة المسلمين ثاني المساجد التي وضعت في الأرض، بعد البيت الحرام بمكة المكرمة؛ لذلك فتاريخ المسجد الأقصى عند المسلمين موغل في القدم، بعكس اليهود الذي يبدأ تاريخ هذا الموقع عندهم من لحظة بناء الهيكل على حدِّ زعمهم.

٣- أثبت البحث عن طريق صور الأقمار الصناعية، أن قبلة المسجد الأقصى الشرعي تتجه إلى مكة المكرمة (قبلة المسلمين)، وأن هذا التوجه يسبق الفتح الإسلامي للقدس بمئات السنين، وهذا ثابت من أساسيات وقواعد أسوار المسجد التي يرجع تاريخها إلى عهد هيرود الكبير، وهو ما يؤكد من جانب آخر كذب الادعاءات اليهودية من أن هيكل سليمان المزعوم كان يتجه لجهة الغرب، وهو ما لا يمكن تفسيره من الناحية المنطقية.

٤- أثبتت الدراسة التحليلية مدى التطابق الهندسي بين المسجد الأقصى والكعبة المشرفة بمقاساتها الأصلية من ناحية الشكل والنسب، فشكلهما الهندسي واحد وهو الشكل المختلف الأضلاع، وهو شكل نادر الاستعمال في عمليات التصميم المعماري، كما أن نسبهما الهندسية تقريبًا واحدة وتتفق مع

النسبة الذهبية، التي استخدمت في المباني منذ القدم؛ وذلك لأنها أكثر نسبة مريحة من الناحية البصرية.

٥- أثبت البحث من خلال دراسة النصوص التوراتية التي تصف هيكل سليمان المزعوم، وجود تناقضات واضحة ومتعددة في الوصف الهندسي ومقاسات هذا البناء المزعوم، سواء أكان هذا التناقض بين النصوص ذاتها، أم مع المنطق الهندسي المتعارف عليه عند كل الخبراء والمتخصصين، ومن أهم هذه التناقضات ما يلي:

أ- التناقض في ذكر أعداد الوكلاء المشرفين على العمال.

ب- عدم منطقية النسب الهندسية للهيكل المزعوم وبخاصة ارتفاع الرواق الذي يتقدم الهيكل، مما حدا بكل الأثريين والمعماريين الإسرائيليين بعدم الالتزام بهذه المقاسات، عند رسم واجهات وقطاعات الهيكل المزعوم، أو عند عمل نماذج مصغرة له.

ج- التناقض في ذكر ارتفاع العمودين اللذين يتقدمان الهيكل وفي ارتفاع التاج الذي يعلوهما.

د- التناقض في ذكر العلاقة ما بين قطر ومحيط البحر الدائري، وكمية الماء الذي يمكن أن يسعه ويأخذه.

هـ- التناقض في وزن الذهب المرسل من حورام إلى سيدنا سليمان ليستخدم في الهيكل المزعوم.

و- الوصف التوراتي للأحجار المستخدمة في بناء الهيكل المزعوم بأنها مربعة وغير منحوتة، يتعارض تمامًا مع شكل الأحجار المستطيلة المنحوتة المستخدمة في بناء أساسات المسجد الأقصى الشرعي وحوائطه ومبانيه، بل ومع كل المباني

الأثرية الموجودة بمدينة القدس؛ مما يعطي دليلاً قويًا على أكذوبة حائط المبكى، والذي يدعي اليهود بأنه من بقايا الهيكل الثالث الذي بناه (هيرودسي الكبير).

ز- مساحة مبنى الهيكل والمباني والساحات المكشوفة التي تحيط به كما ورد في سفر حزقيال، تساوي حوالي مرتين ونصف مساحة مدينة القدس القديمة داخل الأسوار.

٦- إن التناقضات الواضحة السابقة تشكك في وجود هيكل سليمان المزعوم من الأصل، وهو ما يعطي دليلاً على أن سيدنا سليمان قد جدد بناء المسجد الأقصى ولم يبن هيكلاً، كما ورد في النصوص الدينية الإسلامية.

٧- إن من إعجاز القرآن الكريم أن يورد في سورة البقرة، ما يؤكد على تحريف النصوص التوراتية، في وقت لم تكن التوراة قد ترجمت للغة العربية بعدُ، بل كانت مكتوبة بلغات أخرى (العبرية، الكلدانية، اليونانية) حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾

(البقرة: ٧٨، ٧٩)

القـــدس
بين اليهودية والإسلام

أ.د / محمد عمارة
عضو هيئة كبار العلماء

تمهيد

من القرآن الكريم نتعلم منهاج التعامل مع دعاوى الخصوم..

لا نتجاهل ما يدعون.. ولا نصادر ما يقولون.. وإنما نجادل بالتي هي أحسن.. ونحاور بالمنطق والحجة والبرهان.

وإذا كنا في إطار الإيمان بالله – سبحانه وتعالى – وقرآنه الكريم، ورسوله ﷺ، نستدل بآيات الكتاب وأحاديث السنة النبوية، فإن الاستدلال بهذا الحق وَقْفٌ على من يؤمن بأنه حق، أما إذا كان الحوار مع دعاوى الذين لا يؤمنون بالله، ولا بقرآنه، ولا برسوله، فإن المنطق العقلي والحجة البرهانية هي أدواتنا في الحوار.

ذلك بعض ما يعلمنا إياه القرآن الكريم.

فعلى حين كان أهل الشرك والوثنية هم الذين يدعون إلى منهاج (المصادرة) مصادرة آيات القرآن الكريم وبراهينه:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾

(فصلت : ٢٦)

وجدنا القرآن الكريم يستحث هؤلاء المشركين على أن يأتوا بما لديهم من (حجج)، ويبرزوا ما لديهم من (علم)، و يعلنوا ما في حوزتهم من (براهين) ليرد عليها بالمنطق العقلي والبراهين اليقينية:

﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

(البقرة: ١١١)

﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٤)

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

(الأنعام: ١٤٨، ١٤٩)

بل ويعلمنا القرآن الكريم أن هذا هو المنهاج الإلهي هو المتبع في يوم الحساب.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾

(القصص: ٧٥)

وعندما حاول المشركون زحزحة القرآن عن مقام الإعجاز الإلهي، ونسبته إلى الشعر، والادعاء بأن الرسول ﷺ، ما هو إلا شاعر

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾

(الأنبياء: ٥)

احتكم المنهاج القرآني إلى الواقع الذي عاشوه وعايشوه، فمحمد الذي ولد ونشأ بين ظهرانيهم، لم يعرفوا عنه إبداع الشعر في يوم من الأيام، ولا الاهتمام أو الامتلاك لما ينبغي للشعر من أدوات، وذلك فضلا عن البون الشاسع بين نظم القرآن ونظم الشعر الذي هم فيه خبراء.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ **(يس: ٦٩، ٧٠)**

وعندما زعم المشـركون أن هذا القـرآن الذي جاء به محمد إنما هو من إبداعه واختراعه، وأنه قول بشـر، وليس وحيا إلهيا، احتكم القرآن - في مجادلتهم- إلى المنطق العقلي والبرهان اليقيني. فهم بشـر كمحمد، ولهم فـي الفصاحة دربة فائقة، وثمـرات متألقة في سـماء البيان، فإذا كان هذا القرآن مما يتأتى لإبداع بشري، فليأتوا - وهم الفصحاء- بحديث مثله.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ (الطور: ٣٣، ٣٤)

وعندمـا ذهبوا فزعموا أنه من إملاء (جبر الرومي) يمليه على محمد، سـخرت الحجة القرآنية من هذا الادعاء السقيم. (فجبر الرومـي) أعجمـي، فكيـف يملـي الأعجمي هذا الإعجـاز الذي أدهش وأعجز أساطين العرب البلغاء؟!

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾
(النحل: ١٠٣)

وعندما كان المشـركون ينكرون ويسـتنكرون البعث والإحياء للعظام النخرة والأجساد التي طواها التحلل والفناء، لم يكن منهاج القرآن الكريم في الحوار والجدال يكتفي بالإشارة إلى قدرة الله القادر على كل شيء، وإنما يحتكم إلى المنطق الواقعي الذي يعيشه هؤلاء المنكرون والمستنكرون، ألم ينشئ الله هذه العظام والأجساد وكل المخلوقات في نشـأتها الأولى، التي يحيونها ويعيشونها؟ أليست الإعادة -عادة ودائما- أخف وأولى وأسهل من الابتداء؟

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ۞قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾

(الإسراء: ٤٩-٥١)

هكذا يعلمنا القرآن الكريم منهاج التعامل مع دعاوى الخصوم، ألا نصادر ما يدَّعون، وألا نتجاهل الذي يزعمون، وألا نكتفي بترديد الحق الذي نؤمن به، وإنما لا بد من محاورتهم وتفنيد دعاواهم، بالمنطق البرهاني والحجج العقلانية، التي هي بمثابة (العملة الدولية) و(الآليات العامة) المعتمدة في كل الأنساق الفكرية، ومن قبل كل أصحاب العقول.

هذا هو المنهج القرآني، الذي نطبقه في صفحات هذه الدراسة، حول القدس الشريف.

فكثيرة هي الدراسات التي كتبها العرب والمسلمون عن مدينة القدس الشريف، والتي زخرت صفحاتها ببراهين الحق الفلسطيني والعربي والإسلامي في القدس، لكنها نادرة تلك الدراسات التي اهتمت بمناقشة دعاوى اليهود والصهاينة والاستعمار الغربي حول (الحق) اليهودي في هذه المدينة المقدسة، وأندر من ذلك تلك الدراسات التي فندت دعاوى هؤلاء الخصوم بالمنطق العقلي، والحجج البرهانية، وليس بترديد مأثوراتنا الإسلامية حول الحق العربي والإسلامي في القدس الشريف.

ونحن في صفحات هذه الدراسة، قد اخترنا:

وثيقة تمثل دعاوى قمة الغلو الصهيوني -رابطة الدفاع اليهودية- كتبها مؤسس هذه الرابطة (دانيال ياسبس)، وفيها كل

الدعـاوى التي يسـتندون إليها في أن (القـدس يهودية)، ولا علاقة لها بالإسـلام، ولا مكانة لها في حياة المسـلمين، منذ حياة رسـول الإسـلام ﷺ وحتـى الحقبة الراهنـة في الصراع حول هـذه المدينة المقدسة.

ثـم قمنا بمحـاورة ما ورد في هـذه الوثيقة من دعـاوى بالمنطق العقلاني، الذي يحتكم إليه ويستنجد بآلياته جميع العقلاء، في كل الديانـات والحضارات والقارات والعصور، لتصل بنا هذه المحاورة إلـى أن القـدس إسـلامية - هكذا كانـت ولا تزال - وأنـه لا علاقة لهـا لا باليهودية كديـن، ولا باليهود القدماء، فضـلا عن الصهاينة المحدثين.

ثم ختمنا صفحات هذه الدراسـة بحديث عن ماذا تعنيه إسلامية مدينة القدس؟

هل تعني الاحتكار الإسلامي لقدسيتها دون الآخرين من أصحاب المقدسات؟

أم تعنـي هذه الإسـلامية للقدس إشـاعة قدسـيتها لكل أصحاب المقدسات؟

ولقـد احتكمنا فـي هذه الدراسـة، أيضا إلى الموقـع التاريخي، الذي عاشـه كل أصحاب المقدسـات، ومنهم اليهـود، ذلك الواقع الشـاهد على أن القدس كانت دائمًا تقع في (الاحتكار) من قبل من يسيطر عليها من غير المسلمين - الرومان، في عصر وثنيتهم وفي عصر نصرانيتهـم، والصليبيون الفرنجـة، والصهاينة المعاصرون - بينما كانت السيادة الإسلامية على القدس هي وحدها المؤتمنة على فتـح هذه المدينة أمام الجميع، وإشـاعة قدسـيتها بين جميع

أصحاب المقدسات ؛ لأن ذلك جزء من عقيدة الإيمان الإسلامي، وليس مجرد تسامح أو حق من حقوق الإنسان.

وإذا كانت القدس الشريف - في الصراع الراهن بيننا وبين الإمبريالية الغربية، وشريكتها اليهودية الصهيونية- هي (رمز) هذا الصراع المركب والمعقد الحضاري والديني والتاريخي والسياسي ... إلخ، وهي كذلك بوابة التحرير والانتصار، فإننا نسأل المولى عز وجل، أن ينفع بهذه الصفحات، وأن يجعلها سلاحًا من أسلحة الوعي الإسلامي، والاستنارة الإسلامية، في هذه المعركة المصيرية، إنه سبحانه وتعالى، خير مسئول وأكرم مجيب.

مصلحة سياسية

فماذا عن دور القدس في الإسلام؟ إن أهمية القدس تأتي في مرتبة ثالثة لأهمية مكة والمدينة، البلدان اللذان عاش فيهما محمد وشهدا الأحداث الكبرى في التاريخ الإسلامي، القدس ليست قبلة المسلمين في الصلاة، ولم تذكر باسمها مرة واحدة في القرآن، ولا تذكر على الإطلاق في صلوات المسلمين، وهي ليست مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بالأحداث التي جرت في حياة الرسول، ولم تتحول القدس في يوم من الأيام إلى مركز ثقافي إسلامي أو عاصمة لدولة إسلامية، هي فقط اتخذت أهميتها بالنسبة للمسلمين بصورة متقطعة طوال القرون الثلاثة عشرة الماضية، وكان السبب في تلك الفترات المتقطعة - كما هي الحال اليوم - سياسيا والعكس صحيح أيضًا، كلما تضاءلت المنفعة (السياسية) من القدس ضعفت الحماسة وخمدت المشاعر تجاهها وتراجعت وضعيتها لدى المسلمين.

(وعلى حد زعم الوثيقة اليهودية هرب النبي محمد في عام ٦٢٢ ميلادية) من بلده مكة إلى المدينة ذات الكثافة السكانية اليهودية،

وعند وصوله - وإن لم يكن قبل ذلك - تبنى عددًا من ممارسات اليهود الدينية مثل الصيام مقابل (يوم كيبور)، بيت الصلاة مقابل الكنيس (معبد اليهود)، قواعد التحليل والتحريم في الطعام مقابل الكوشير (الأكل على الطريقة اليهودية).

وتبنى محمد أيضًا طُقُوس اليهود عند الصلاة، متخذًا جبل الهيكل في القدس قبلة له وللمسلمين.

وكما يقول الطبري - أحد مفسري القرآن القدامى - "اختار الرسول ﷺ البيت الحرام بالقدس لكي يستميل أهل الكتاب (وبينهم اليهود)، وسَعِدَ اليهود بذلك"

ويرى المؤرخون المحدثون مثل (و. مونتجمري وات) رائد دراسة السيرة الذاتية لـ(محمد) أن مغازلاته الشديدة لمشاعر اليهود كانت جزءًا من رغبته في استمالتهم واسترضائهم.

ولكن اليهود انتقدوا الدين الجديد، ورفضوا إشارات الرسول محمد ﷺ لهم؛ مما أدى إلى خصامه لهم في العام ٦٢٤ تقريبا، وجاءت الإشارة الدراماتيكية لهذا التحول في الآيات القرآنية ١٤٢ إلى ١٥٢ من سورة البقرة، والتي تأمر المؤمنين بأن يتوقفوا عن الصلاة في اتجاه (سوريا) وأن يستبدلوها بمكة "يذكر القرآن ومصادر أخرى أن اتجاه القبلة (سوريا) بينما توضح معلومات أخرى أن سوريا تعني القدس".

هذه الحادثة تمثل نموذجًا تكرر عدة مرات في القرون التالية حين تزايد الاهتمام الديني للمسلمين بالقدس لأنها تخدم مصالحهم السياسية، وكلما تغير المناخ السياسي خبا اهتمامهم.

ففي القرن التالي لوفاة محمد دفعت السياسة دولة الأمويين المؤسسة في دمشق والتي كانت القدس تحت سيادتها، إلى جعل

المدينة مقدسة في الإسلام، حيث فكر الأمويون في تقليل أهمية الجزيرة العربية بإعلاء قيمة القدس إثر تورطهم في منافسة ضارية مع قائد مكة المناوئ لهم [عبد الله بن الزبير].

فرعوا (ضربا) من الأدب يمتدح (مزايا القدس) وفضائلها وعملوا على ذيوع وترويج أحاديث وأفعال للرسول تعلي من شأن القدس، وفي السنوات ٦٨٨م حتى ٦٩١م أقاموا أول بناء ضخم في الإسلام هو (قبة الصخرة) على قمة بقايا المعبد اليهودي.

(وتستمر الأكاذيب بالقول): وفي خطوة ماكرة ودقيقة أعاد الأمويون تفسير القرآن لإيجاد (متسع) للقدس خاصة في وصف رحلة محمد ليلا (الإسراء) والتي ورد فيها

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾

(الإسراء: ١)

عندما نزلت هذه الآية القرآنية حوالي عام ٦٢١م، كان موجودًا مكان يسمى المسجد الحرام في مكة، وعلى العكس كان (المسجد الأقصى) تعبيرًا مجردًا، وليس مكانًا، وفهمه بعض المسلمين كمجاز أو مكان في السماء، ولو كان (المسجد الأقصى) موجودًا على الأرض في ذلك الوقت لكانت فلسطين أرضًا مختلفة (عن المسجد الأقصى) فتلك المنطقة تذكر في القرآن (سورة الروم الآية واحد) باسم ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الروم: ٣)

ولكن الأمويين بنوا في عام ٦٩١م مسجدًا في القدس فوق جبل الهيكل تمامًا، وأسموه المسجد الأقصى، بذلك لم يقحم الأمويون القدس في القرآن فقط، بل أيضا أعطوها دورًا بارزًا في حياة الرسول

بأثر رجعي ؛ لأنه إذا كان المسجد الأقصى في القدس فإن رحلة محمد ليلا (الإسراء) والصعود اللاحق به (المعراج) إلى السماء تمَّ فوق جبل الهيكل.

أي أن القدس تصبح مهمة دينيّا فقط عندما تبزغ أهميتها السياسية، وكذلك عندما انهارت الدولة الأموية في العام ٧٥٠م دخلت القدس فيما يشبه الظلام الدامس، ففي القرون الثلاثة ونصف القرن التالي، فقدت الكتب التي تشيد بمدينة القدس الدعم الذي كانت تحظى به، ولم تتوقف فقط عملية بناء المسجد الرائع، بل إن المبنى الموجود تهاوى (انهارت قبة الصخرة عام ١٠١٦م) فيصف مسلم من القرن العاشر الميلادي أحوال القدس متحسرا: المسلمون قلة والمسيحيون كثيرون، وحكام الدولة الجديدة استنزفوا القدس والريف المحيط بها من خلال ما أسماه (ف. إي. بيترز - من جامعة نيويورك)، جشعهم ولا مبالاتهم.

الحملات الصليبية

ولاحظ بيترز أن الحكم الإسلامي للقدس في بداية القرن العاشر الميلادي كان (عريضا متقطعا) بدون أيّ أهمية سياسية خاصة، وفي ظل ما يشبه اللامبالاة الإسلامية بالقدس، أثارت الحملة الصليبية على المدينة عام ١٠٩٩م رد فعل ضعيف للمسلمين، كما لاحظ (إيمانويل سيفان) من الجامعة العبرية، المتخصص في تلك الفترة: «لم ير الناس في ذلك صدمة أو إحساسا بالخسارة الدينية أو الذل، ولم يتنامَ جهد جاد لاستعادة القدس إلا في عام ١١٥٠م عندما أكد حكام المسلمين على أهمية القدس للإسلام، وظهرت مرة أخرى الأحاديث التي تعلي من شأن القدس والكتب التي ترصد مزاياها وفضائلها، ووضع حديث على لسان الرسول (محمد) يقول: إنه

بعـد موته يكون سـقوط القـدس في يد الكفـرة الكارثـة الثانية التي تواجه الإسلام».

ومرة أخرى تراجع اهتمام المسلمين بالقدس، بعد استيلاء صلاح الدين عليها وعودتها إلى أيدي المسـلمين، عندما تخلى عنها أحفاد صـلاح الدين فـي ١٢٢٩م للإمبراطور (فريدريـك الثاني) في مقابل وعـد ألمانـي بدعمه عسـكريا في مواجهـة أخيه الذي ينافسـه على الملك، ولكن عودة القدس إلى أيدي المسـيحيين اسـتفزت مشاعر المسـلمين بقوة، ونتيجة لذلك استعادها المسلمون تحت حكمهم فـي عام ١٢٤٤م، وهنـا يقدم علم النفس ملاحظة مفادها أن فرسـان الصليـب القادمين من بلـدان بعيدة ليجعلوا مـن القدس عاصمتهم، رفعوا قيمة المدينة في عيون المسـلمين أيضا، وكما يقول سـيفان: لقد أصبحت مسـتهدفة بقوة من أعداء الدين، وهذا جعلها مقربة من قلـوب المسـلمين، من خلال نـوع من الأعراض المرضيـة للنظر في صورة المرآة.

عودة الظلام

ثم سقطت المدينة مرة أخرى في ظلام دامس لما يقرب من ثمانية قرون، وفي لحظة من اللحظات تراجع عدد سكان المدينة إلى حوالي ٥٠٠٠ نسمة وهُجِر حرم جبل الهيكل وأصبح خرابا، وفي ظل الحكم العثمانـي ١٥١٦-١٩١٧م، عانت القـدس مهانة أن تعامل كمزرعة، تقدم جباية على غير المقيمين فيها، وابتليت أيضا بموظفين شديدي الجشـع يجمعونها كل عام، ورفعت السـلطات التركيـة مواردها من المدينـة بابتزاز الـزوار الأوروبيين، بينما لم تبـذل إلا جهدًا محدودًا في تحسـين اقتصاد القـدس، وتظهر قوائم الضرائـب أن (الصابون) كان المنتج الوحيد الذي تصدره المدينة، ووصْفُ (جورج سـانديز)

للمدينــة فــي ١٦١١م خير دليل، حيث اكتشــف كثيرًا مــن المباني القديمــة التي تهدمــت فيما عدا النــذر القليل، أما المبانــي الجديدة فوضيعة.

وفــي عام ١٨٥٠م زارت (جوســتاف فلوبير) المشــهورة بـ(مدام بوفــاري) القدس فوجدت أطلالًا في كل مكان، وكتب مارك توين في عــام ١٨٦٧م، أن القدس فقدت كل جلالهــا القديم، وأصبحت قرية فقيرة بائسة.

اليهود يوقظون المسلمين!

وفــي العصر الحديــث يلاحظ الأســتاذ الجامعي الإســرائيلي (هافا لازاروس - يافــي) أن القــدس أصبحــت محط النشــاط العربــي الديني والسياســي فقط عند بداية هذا القرن، وفقط بســبب النشاط اليهودي الحديث في المدينة، وادعاءات اليهود حول حائط المبكى، وقد أشعل أيضا الحكــم البريطاني للمدينة مــن ١٩١٧ وحتى ١٩٤٨م، عواطف المســلمين تجاهها، فجعل الزعيم الفلسطيني (ومفتي القدس) الحاج أمين الحســيني من جبل الهيــكل مركزًا لمناهضــة الصهيونية، وعلى ســبيل المثال زيــادة الدعــم المالي من العالــم العربي، مــن أجل إعادة ترميــم قبة الصخرة، وأعطى السياســيون العرب للقــدس مكانة بارزة، فمثــلًا أثنى زعماء العراق بصورة متكررة على المدينة حيث صلوا فيها بالمسجد الأقصى، وخطبوا خطبًا حماسية.

الهاشميون والقدس

ولكــن عندمــا اســترد المســلمون المدينــة القديمــة، بمقدســاتها الإســلامية في عــام ١٩٤٨م ســرعان ما فقــدوا اهتمامهم بهــا، فعندما دخلت القوات الأردنيــة المدينة في ١٩٤٨م، وكانت قمة الإثارة عليها

تتويج الأسقفية القبطية الملك عبد الله، ملكًا للقدس، في نوفمبر من ذلك العام، وتلاها على الفور الملل المعتاد من المدينة، وانحسر ولع الهاشميين بالقدس، حيث يقيم بعض أعدائهم اللدودين، وحيث قتل الملك عبد الله نفسه في عام ١٩٥١م، والحقيقة أن الهاشميين بذلوا جهودًا مكثفة للتقليل من أهمية المدينة المقدسة لصالح عاصمتهم عمان، وتحولت تحت أيديهم من عاصمة إدارية بريطانية إلى مدينة ثانوية أو هامشية، بعد أن علق العمل في المكاتب الحكومية بها، وأغلق الهاشميون بعض المؤسسات المحلية (مثل اللجنة العربية العليا) ونقلوا البعض الآخر إلى عمان مثل خزانة الوقف الفلسطيني. ونجحت جهود الهاشميين، فتحولت القدس العربية مرة أخرى إلى بلدة محلية معزولة، بلدة أقل أهمية من نابلس، وأصبح اقتصادها كاسدًا، وغادرها الآلاف من العرب، وزادت الكثافة السكانية في عمان خمسة أضعاف في الفترة من ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧م، بينما كانت نسبة الزيادة في القدس ٥٠٪ فقط.

واختيرت عمان لتكون مقرًا لأول جامعة أردنية، ومقراً لكثير من قصور الأسرة الملكية، وربما كان أقصى ما وصلت إليه الاستهانة بمدينة القدس، أن إذاعة الأردن راحت تنقل (صلاة الجمعة) من مسجد في عمان بدلًا من أن تذيعها من المسجد الأقصى!

والعرب الآخرون نسوا القدس، ولم يقتصر تجاهل القدس على الأردن، فقد اختفت فعليّا من خريطة الدبلوماسية العربية، ولم يأت قائد عربي إلى القدس في الفترة من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧م، وحتى الملك حسين لم يزرها إلا نادرًا.

وفيصل ملك السعودية العربية الأسبق، والذي تحدث مرارًا

بعـد ١٩٦٧م، عـن حنينه إلـى الصلاة في القدس، لـم يبد مطلقًا راغبًـا في الصلاة فيها، عندما كانت الفرصة متاحة أمامه من قبل! والجدير بالملاحظة أيضًا أن الوثيقة التأسيسـية لمنظمة التحرير الفلسطينية -الميثاق الوطني الفلسطيني في ١٩٦٤م- لم تذكر القدس ولو مرة واحدة.

كل ذلـك تغيـر بصـورة مفاجئـة بعـد يونيـو ١٩٦٧م، عندمـا دخلـت المدينـة القديمة تحت السـيطرة الإسـرائيلية، وكما حدث فـي الحقبة البريطانية عاود الفلسـطينيون وضـع القدس في (قلب) برنامجهم السياسـي، وأُبرزت صورة قبـة الصخرة في كل مكان، من مكتب ياسـر عرفـات وحتى محـال البقالة، ووصف دسـتور منظمة التحريـر الفلسـطينية ١٩٦٨م القـدسَ بأنها (مقر منظمـة التحرير الفلسطينية).

عودة الاهتمام

ولم ينفرد الفلسطينيون ببعث اهتمامهم بالقدس بين العرب، فحسـب إشـارة لازاروس يافي، بدأ حكام المسـلمين مجددًا في التأكيـد علـى (حرمة وقداسـة) القـدس في التراث الإسـلامي، بالضبـط مثلما حدث في فترة الحـروب الصليبية، إلى حد إزاحة الغبـار عن الأحاديث القديمة، التي تدعـم ادعاءاتهم، وأصبحت القـدس الدعامـة الأساسـية لقـرارات الجامعـة العربيـة والأمـم المتحدة، وراح حكام الأردن والسـعودية البخلاء على القدس في الماضي، يقدمون بسخاء هباتهم إلى وقف القدس.

وكما كان الأمر في زمـن الانتداب البريطاني، أصبحت القدس بـدءًا مـن ١٩٦٧م الأداة الرئيسـية لحشـد الرأي العام الإسـلامي

الدولــي وأعطــى (حريــق فــي المســجد الأقصى) للملــك فيصل الفرصــة كــي يدعــو ٢٥ حاكــم دولــة مســلمة، ويؤســس منظمة المؤتمر الإسـلامي، واستندت السلطة الشيعية الحاكمة في لبنان بانتظام علــى موضوع تحرير القدس؛ لكي تحشــد مواطنيها نحو تحرير لبنان، ومنذ قيام الثورة الإسلامية في إيران والعملة الإيرانية مــن (الريال) إلــى (الألف ريال) تحمل صــورة قبة الصخرة، وفي أثنــاء الحرب الإيرانية مع (قوات صدام حســين) في الثمانينيات تلقــى الجنود الإيرانيون خرائط قديمــة، موضوع عليها طريق إلى القــدس يمر عبر بغداد، وكذلــك أعلن آية الله خوميني يوم الجمعة الأخيرة من رمضان (يومًا للقدس) ليصبح مناسبة عظيمة للخطب النارية ضد إسرائيل.

ومنــذ الاحتلال الإســرائيلي، حاول بعــض الأيديولوجيين، وضع الأســس التاريخية لإلحاق القدس بالإســلام من خــلال ثلاثة ادعاءات رئيسة كلها محل شك تاريخيا:

أولا: الجــزم بأن صلة الإســلام بالقدس تســبق صلــة اليهود بها، فتؤكــد -مثلًا- غــادة تلحمي المتخصصة في كلية (ليك فورســت) أن هنــاك مدنًا مقدســة أخرى في الإســلام، ولكن القــدس لها مكانة خاصــة في قلوب وعقول المســلمين؛ لأن مصيرهــا كان دائمًا توأما لمصيرهم.

دائمــا! دائما! كيــف إذن، وإذا كان تاريخ إنشــاء القدس ســابقا على الإســلام بحوالي (ألفــي عام) من الزمان! فكيــف يدعي أولئك المســلمون قــدم صلة الإســلام بالمدينــة؟ يفســر لنا هــذه المفارقة (إبراهيم هوبر) مدير الاتصالات الوطنية في مركز واشنطن للعلاقات

الإسلامية – الأمريكية بقوله: إن صلة المسلمين بالقدس لا تبدأ من الرسول محمد ﷺ ولكنها تبدأ بالأنبياء والرسل السابقين، إبراهيم وداود وسليمان وعيسى -عليهم السلام- الذين يُعتبرون في الإسلام أيضًا رسلًا وأنبياء، بكلمات أخرى فإن الشخصيات المركزية في اليهودية والمسيحية كانت نماذج أولى من المسلمين.

ثانيا: هناك ادعاء يمثل مفارقة تاريخية كاملة، مفاده: أن القرآن ذكر القدس بين آياته، ويرى هوبر وآخرون أن القرآن يشير إلى القدس من خلال قلبها الإسلامي، المسجد الأقصى، وهو ادعاء بلا أي مصداقية (كما تزعم الدراسة) فالمسجد الأقصى الذي بني بعد قرن من نزول القرآن، لا يمكن أن يفسر به على الإطلاق المعنى الأصلي للآية القرآنية المشار إليها من قبل.

ثالثا: ينكر بعض المسلمين أية أهمية للقدس عند اليهود، فقد أعلن بصراحة كاملة مؤخرًا عبد الملك الدهامشة عضو البرلمان الإسرائيلي أن الحائط الغربي لا علاقة له، وليس ضمن بقايا المعبد اليهودي، وذهب الزعيم العربي -الإسرائيلي الأصولي- إلى أبعد من ذلك بقوله: لا يحق لليهود أن يصلوا عند الحائط الغربي، وبكلمات أكثر إحكامًا للشعار الإسلامي المتشدد (القدس عربية).

وجهة النظر الإسلامية: القدس بين اليهودية والإسلام

عندما نناقش (حجج) ودعاوى الآخرين، حول قضية القدس، يجب أن نتجرد من منطق صاحب الحق الذي يخاطب ذاته ... فنتحدث بالمنطق (الموضوعي البارد) الذي يفند (حجج) الخصوم، بمنطق هؤلاء الخصوم، وبلغة العلم وعقلانية الفكر، لا بالعواطف، أو حتى بمأثوراتنا الدينية الخاصة، التي لا يؤمن بها الآخرون.

وفي تطبيق هذا المنهج على (وثيقة رابطة الدفاع اليهودية)-التي

كتبها اليهودي الصهيوني الأمريكي (دانيال ياسبس)[٧٧]- مؤسس هذه الرابطة -في مناقشة هذه (الوثيقة) نجد أن صرامة المنطق المجرد -وهو في الفكر عملة دولية عامة- تقودنا إلى (إسلامية القدس)، وإلى نفي أية علاقة لهذه المدينة باليهودية واليهود.

تقول هذه (الوثيقة): «إن القدس هي أعظم مدينة بالنسبة لليهودية» فهل هذا صحيح؟ وهل هناك علاقة ما بين اليهودية وبين مدينة القدس؟

لقد روّج اليهود هذه الدعوى، حتى تبنتها الكاثوليكية -ومن قبلها البروتستانتية- فوجدنا بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني، يتحدث عن القدس فيقول: «منذ عهد داود، الذي جعل أورشليم عاصمة لمملكته، ومن بعده ابنه سليمان، الذي أقام الهيكل، ظلت أورشليم موضع الحب العميق في وجدان اليهود، الذين لم ينسوا ذكرها على مر الأيام، وظلت قلوبهم عالقة بها كل يوم، وهم يرون في المدينة شعارًا لوطنهم» (عن مقال الأنبا يوحنا قلته- الأهرام في ١٢- ٥- ١٩٩٧م).

ووجدنا – كذلك – التحالف المسيحي البروتستانتي- في أمريكا – تحت تأثير (الصهيونية – المسيحية) عندما جعل الكونجرس الأمريكي يقرر- ١٩٩٥م- نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس- وبناءها على أرض الأوقاف الخيرية الإسلامية!- ينص في مقدمة هذا القرار على (أن القدس هي الوطن الروحي لليهودية).

---

(٧٧) كان دانيال ياسبس أكبر مساعدي (بنيامين كاهانا) -ابن الحاخام الإرهابي (مائير كاهانا).

فهل حقًا تمثل (القدس أعظم مدينة بالنسبة لليهودية) - كما تقول وثيقة رابطة الدفاع اليهودية؟ وهل هي (شعار الوطن اليهودي) كما يقول بابا الفاتيكان؟ والوطن الروحي لليهودية كما يقول الكونجرس الأمريكي؟..

لنسأل أولا: ما هي اليهودية؟

إنها - بالمنطق العلمي المجرد- هي شريعة نبي الله موسى عليه السلام، التي جاءت بها الألواح والأسفار التي أوحى الله بها إلى موسى، وهنا نسأل- ثانيا- : هل هناك أية علاقة بين شريعة اليهودية، ونبي اليهودية، وتوراة اليهودية، وبني إسرائيل الذين توجهت إليهم التوراة، والشريعة وبين مدينة القدس؟

إن نبي اليهودية قد ولد ونشأ وعاش ومات ودفن في مصر، ولم تر عينه القدس في يوم من الأيام.

وإن توراة اليهودية وشريعتها ووحيها قد نزلت في مصر، وباللغة الهيروغليفية -وقبل وجود اللغة العبرية- ولم تشهد القدس -عبر تاريخها الطويل- شيئا من ذلك في يوم من الأيام.

فأين هي العلاقة الروحية -علاقة (الوطن الروحي)- التي يتحدثون عنها بين اليهودية والقدس؟!

فإذا قالوا -وهم بالفعل يقولون- بلسان (وثيقة) رابطة الدفاع اليهودية: «إن اليهود يصلون في اتجاه القدس، ويذكرون اسمها في صلواتهم باستمرار، ويُنهون صلاة عيد الفصح بعبارة شوق حزين: العام القادم في القدس».

فإننا نقول لهم: حسنا! لكن، هل صلاة أبناء دين من الأديان تجاه

مدينة من المدن، ترتب لأبناء هذا الدين حقوقا (وطنية.. وسياسية.. وسيادية) في هذه المدينة؟

إن الأرثوذكس- الروس، واليونان، والصرب، والمصريين، والأحباش- يصلون جميعا تجاه القدس، وإليها يحجون، وفيها يتقدسون.. ومعهم في ذلك كل شعوب الكاثوليك، في جميع أنحاء الدنيا، وكذلك كل الأمم والقوميات البروتستانتية، فهل يرتب التوجه إلى القدس في الصلاة لكل هذه الأمم والشعوب والقوميات والأجناس حقوقًا (وطنية.. وسياسية.. وسيادية) في مدينة القدس؟

إن القول بهذا (المنطق)، جدير بعالم (النكات)، وهلوسات ضحايا المخدرات، ولا علاقة له بأدنى مستويات العقل والعقلاء! وقس على ذلك توجه المسلمين، من مختلف الأمم والأوطان إلى مكة في الصلاة، وهو الذي لا يرتب لشعوبهم في مكة أية حقوق (وطنية.. أو سيادية.. أو سياسية».

فإذا قالوا: لقد عاش وحَكَم في القدس داود وسليمان عليهما السلام، وفيها بنى سليمان هيكلًا لليهود، فسنقول لهم: نعم!. لكن هذا لا يقيم علاقة بين اليهودية وبين القدس.. وذلك لعديد من الأسباب التاريخية والمنطقية والواقعية، منها:

أن داود وسليمان- بمنطق اليهود واليهودية- هم من (الملوك) وليسوا من (الرسل والأنبياء)، ومن ثم فإقامتهم في القدس وعلاقتهم بها هي علاقة الاستيلاء السياسي والحربي، وليست علاقة دينية بين القدس وبين اليهودية كدين.

وأن علاقة داود وسليمان بالقدس، كانت بالنسبة لعمر القدس،

الذي يبلغ الآن ستة آلاف عام، علاقة عارضة وطارئة وسريعة الزوال، فهي قد بدأت في القرن العاشر قبل الميلاد، بعد أن كان عمر القدس قد بلغ ثلاثة آلاف عام، فهي قد أسسها (اليبوسيون)، أجداد العرب الفلسطينيين -قبل الميلاد بأربعة آلاف عام- ولم تدم العلاقة بين داود وسليمان، بل وبين كل العبرانيين، وبين القدس وفلسطين، أكثر من ٤١٥ عامًا ميلاديا.

فهل يؤسس ذلك لليهود حقا (وطنيا.. وسياسيا.. وسياديا) دائمًا في القدس وفلسطين؟

لقد أقام العرب المسلمون وحكموا في الأندلس ثمانية قرون، وبنوا فيها المساجد التي لا تزال قائمة حتى الآن، فهل يرتب ذلك لهم في إسبانيا والبرتغال حقوقا (وطنية.. وسياسية.. وسيادية)؟

ولقد أقام الإسكندر الأكبر المقدوني (٣٥٦- ٣٢٣ ق.م) في مصر وغيرها من بلاد الشرق مدنًا ومعابد وإمبراطورية دام حكمها وحكم خلفائه فيها قرابة العشرة قرون- من القرن الرابع قبيل الميلاد إلى الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي-، فهل يرتب ذلك للشعب المقدوني أو الإغريقي أو الروماني -أو لهم جميعًا- في مصر والمشرق حقوقا (وطنية.. وسيادية.. وسياسية)؟!

وقبل الإسكندر دخلت كثير من بلاد الشرق تحت حكم (قمبيز) (٥٢٩- ٥٢١ ق.م) الفارسي، وفيها بنى المعابد والهياكل والقلاع.

وقبل (قمبيز)، حَكَم الفراعنة -قرونا متطاولة- أغلب هذه الأقطار، وأقاموا فيها المعابد، وتركوا فيها الآثار، فهل يطالب أهل

مصر، أو أهل فارس بالسيادة الوطنية والسياسية على تلك البلاد؟!

وهـذا المعبد الـذي بناه سـليمان -عليه السـلام- والذي دمره البابليـون مـع مملكـة يهـوذا سـنة ٥٨٥ ق.م- هل حقا مـا يدعيه اليهود أن المسجد الأقصى قد بني على أنقاضه؟

إن اللجنـة الملكيـة البريطانيـة قـد حكمت سـنة ١٩٢٩م بأن ما يسـميه اليهود (حائـط المبكى) أو (حائط البـراق)- جزء من المسـجد الأقصـى ومعراج رسـول الإسـلام، ولا علاقة لـه بهيكل سليمان.

ولقـد مضـى قرابة نصـف القـرن على احتـلال اليهـود للقدس الشـرقية، وتكثيفهم البحث والتنقيب وتقليـب باطن الأرض بحثًا على أي أثر أو دليل على دعواهم هذه، لكنهم لم يعثروا في كل هذه المنطقة، وطوال هذه السنين، على أدنى أثر لهذا الهيكل المزعوم.

فأين هي العلاقة بين اليهودية واليهود وبين مدينة القدس؟

ثم.. هل يهودية التلمود، ويهودية الصهيونية هي يهودية موسى عليه السلام؟

إن أسـفار التوراة ذاتها شاهدة على نقض اليهود لشريعة موسى، وعلى استحقاقهم لعنة الله بسبب خروجهم حتى على التوحيد!

كما أن اليهودية المعاصرة -التي تحتل القدس وفلسطين- تعرّف اليهودي بأنه (هو المولود من أم يهودية) فالمعيار فيها (بيولوجي)، وليس دينيًا، وبذلك أصبح (يهود الخزر) و(الأشـكناز)، الذين لا علاقة لهم ببني إسـرائيل والعبرانيين والسـاميين يهوداً -وفق هذا المعيار (البيولوجي)- حتى ولو كانوا ملاحدة، أو أبناء زنى!

فأيـن هـي العلاقة بين اليهوديـة والقدس.. بل وأيـن هي العلاقة

بين هذه اليهودية (العنصرية – البيولوجية)، وبين يهودية شـريعة موسى –عليه السلام– ؟

هذا هو المنطق الموضوعي المجرد .. بل والبارد، الذي نفند به دعوى العلاقة الدينية بين القدس وبين اليهودية واليهود.

وبنفس هذا المنطق نناقش (الشبهة) التي تثيرها (وثيقة) رابطة الدفـاع اليهودية، والتي تشـكك فـي قيام علاقة جديـة بين القدس والإسـلام ورسول الإسلام والثقافة الإسـلامية، وذلك عندما تقول: «إن دور القدس في الإسـلام يأتي في مرتبة ثالثة بعد مكة والمدينة، والقدس ليسـت قِبلة المسـلمين في الصلاة، ولم تذكر باسمها مرة واحـدة في القرآن، ولا تذكر على الإطلاق في صلوات المسـلمين، وهي ليسـت مرتبطة ارتباطًا مباشـرًا بالأحداث التي جرت في حياة الرسـول، ولـم تتحول القـدس في يوم مـن الأيام إلى مركـز ثقافي إسلامي، أو عاصمة لدولة إسلامية».

وما جاء في آية سورة الإسراء:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾
(الإسراء: ١)

تقـول عنه (وثيقة) رابطـة الدفاع اليهودية، إنه: «مجرد تفسـير أمـوي» لا يعني مدينة القدس، فلم يكن هنـاك يومَ نزلت هذه الآية – سـنة ٦٢١م – مسجد في القدس اسمه (المسجد الأقصى)، لأن هذا المسجد قد بني في العهد الأموي.

تلك هي دعاوى اليهود، التي تنفي وجود علاقة بين الإسلام وبين القدس. وبين الثقافة الإسلامية والدولة الإسلامية وبين القدس.

وفي الرد على هذه الدعاوى، وتفنيدها.. نقول:

إذا كان الحديث النبوي الشريف يجعل القدس ثالث الحرمين – بعد مكة والمدينة – فإنه يجعلها أولى القبلتين، أي يقدمها – في الترتيب التاريخي كقبلة للمسلمين – على مكة المكرمة والكعبة المشرفة، لقد صلى إليها رسول الله ﷺ ستة عشر شهرًا، ثم توجه إلى الكعبة بالصلاة قبل وفاته بثماني سنوات.

ثم إن السنة النبوية قد جعلت القدس على قدم المساواة مع مكة والمدينة في الاختصاص بشد الرحال، أي السفر للصلاة في مساجدها الجامعة – الحرم المكي، والحرم المدني، والحرم القدسي– فهي – القدس – المقدمة – تاريخيًّا – كقِبلة إسلامية لصلاة المسلمين، وهي المساوية لمكة والمدينة في شد الرحال إليها للصلاة، «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا» (رواه البخاري ومسلم).

وعبارة (المسجد الأقصى) في آية سورة الإسراء تعني مدينة القدس – كل القدس – ولا تعني (المسجد) بمعنى البناء المعماري (للجامع)، فلم يكن هذا البناء – الجامع – قائمًا بالقدس سنة ٦٢١م ليلة الإسراء، وكذلك عبارة (المسجد الحرام) في هذه الآية، تعني مكة – كل مكة – ولا تقتصر على الكعبة والمسجد الحرام، فرسول الله ﷺ عندما أُسري به لم يكن ساكنًا ولا نائمًا في المسجد الحرام – الجامع – وإنما كان في مكة، فالإسراء به قد تم من (المسجد الحرام) – أي مكة – إلى (المسجد الأقصى) – أي القدس –، وفي ذلك دلالة على اعتبار القرآن كل مكة مسجدًا حرامًا – أي حرمًا مكيّا – وكل القدس مسجدًا أقصى – أي حرمًا قدسيّا.

ويزكي هـذه الحقيقة ويشـهد لها وعليها وبها أن المسـلمين، ومنـذ فجر الإسـلام، قـد عاملوا القـدس، كمكـة، معاملـة الحرم الشريف، ومن مميزات وامتيازات الحرم في الإسلام تنزيهه بتحريم القتال وسـفك الدماء فيه، وعندما فتح المسـلمون - بقيادة رسول الله ﷺ - مكـة سـنة ٨هـ حرصوا على فتحها سـلمًا دون قتال، لأن الحـرم لا يجوز فيه القتـال، وهم قد صنعوا ذلك مـع القدس عندما فتحوها سـنة ١٥هـ (٦٣٦م)، فلقد حاصروها حتـى صالح أهلُها على فتحها سـلمًا، وتفردت مكـة والقدس بذلك دون جميع المدن التـي فتحها المسـلمون، وكما تسـلم رسـول الله مكة يـوم الفتح، تفردت القدس - دون كل مدن الفتوحات الإسلامية - بأن استلامها كان مـن اختصاص أمير المؤمنيـن عمر بن الخطاب، وليس من قبل قائد الجيش الفاتح، رغم أن هذا القائد كان هو أمين الأمة الإسلامية أبو عبيدة بن الجراح.

هـذا عن مكانة القدس بالنسـبة لمكة والمدينـة، وعن ذكرها في القرآن الكريم.

أمـا دعـوى أن القدس لا تذكـر في صلاة المسـلمين، فهي دعوى قـد تهاوت، عندما أثبتنـا أن المراد بـ(المسـجد الأقصى) - في آية سـورة الإسـراء - وهي التي يصلي بها المسـلمون في صلواتهم على امتـداد أقطار الأرض، وآناء الليل وأطراف النهـار - هو مدينة القدس الشـريف، كما أن آيات المعراج - في سـورة النجم (١٣ - ١٨) - والتـي يتعبد بها المسـلمون في الصلاة وغير الصـلاة، إنما تذكرهم بالمعراج من القدس الشريف.

وإذا كان الإسـراء برسـول الله ﷺ قد حدث من مكة إلى القدس. وإذا كان معراجه قد تم من القدس. فهل يجوز - بعد ذلك - أن تدعي

(وثيقــة) رابطة الدفــاع اليهودية أن القدس (ليســت مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بالأحداث التي جرت في حياة الرسول)؟!

إن هذا الإسراء هو إحدى معجزات رسول الإسلام، وارتباط القدس بمكة في هذه المعجزة هو - بتعبير القرآن الكريم - آية من آيات الله، كما أن المعراج من القدس، هو الآخر، إحدى معجزات الرسول ﷺ.

فكيف يكون، وأين يكون الارتباط المباشر بحياة الرسول، إذا لم يكن هذا هو الارتباط؟!

لكل ذلك، غدت الرابطة بين القدس ومكة عقيدة دينية إسلامية، وآيــة تتلــى في القرآن، وترتــل في الصلوات الإســلامية، ومعجزة من معجزات الرســالة الإســلامية، وواحدة من عقائد الجهاد الإســلامي، تحــدث عنهــا صــلاح الديــن الأيوبــي (٥٣٢ - ٥٨٩هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣م) فــي رســالته إلــى (ريتشــارد قلب الأســد) (١١٥٧ - ١١٩٩م) - إبــان الحروب الصليبية - فقال عن القدس: «من القدس عرج نبينا إلى الســماء، وفي القدس تجتمــع الملائكة، لا تفكر بأنه يمكــن لنــا أن نتخلى عنها أبــدًا، كما لا يمكن بحــال أن نتخلى عن حقوقنا فيها كأمة مســلمة، ولن يمكنكم الله أن تشيدوا حجرًا واحدًا في هذه الأرض طالما استمر الجهاد».

أما دعــوى (وثيقة) رابطة الدفاع اليهودية، أن القدس «لم تتحول في يوم من الأيام إلى مركز ثقافي إسلامي»، فيفندها ويدحضها مكانة القدس في الثقافة الإسلامية عبر أكثر من أربعة عشر قرنًا متواصلة.

فالمســلمون هم الذين أطلقــوا على هذه المدينة اســم: القدس، وبيــت المقــدس، والحرم القدســي، والقدس الشــريف، فجعلوا من القداســة اســمًا لهــا، وعنوانًــا عليها، يعبر عــن قداســتها ومكانتها

المقدســة في الثقافة الإِســلامية والعقل الإِســلامي والوجدان الديني الإِسلامي.

وكمــا (جــاور) العلمــاء والزهاد والعبــاد والمجاهــدون وطلاب العلــم فــي الحرم المكــي والحرم المدنــي، ظلوا عبر تاريخ الإِســلام (يجاورون) في الحرم القدسي.

وحجم الأشعار التي نظمها شعراء الإِسلام في الحرم القدسي يبلغ المجلدات في ديوان الأدب الإِسلامي؛ فلقد كانت دائمًا - عندهم - رمز الصراع بين الحق والباطل، ومفتاح الانتصارات، ورمز الاستقلال والتحرير من موجات الغزو والغزاة.

وهيَّجْتَ للبيت المقدس لوعة   يطول بها منه إليك التشوّق
هو البيت إن تفتحه، والله فاعل   فما دونـه باب من الشام مغلق

وذلك فضلًا عن مئات المخطوطات التي كتبت في مناقب وفضائل هذا الحرم القدسي الشريف.

أمــا أن هذه المدينة -القدس- «لم تكــن في يوم من الأيام عاصمة لدولة إســلامية» -حســبما تقول (وثيقة) رابطة الدفــاع اليهودية - فهي دعوى - ككل الدعاوى التي فندناها- لا حظَّ لها من المنطق.

فالدولــة الإِســلامية -منذ ظهــور الإِســلام، وحتى إلغــاء الخلافة العثمانية ســنة ١٩٢٤م- كانت دولة خلافة جامعة، اختصت بمركز العاصمــة فيهــا مــدن معــدودة، لا تتجاوز الســت - هــي: المدينة، والكوفة، ودمشــق، وبغداد، والقاهرة، والآســتانة- ، فهل يعني ذلك أن كل مــدن الإِســلام - والتي تعــد بالآلاف - في عالم الإِســلام، من (غانــا) - غربًا - إلى (فرغانة) - شــرقًا - ومن حوض نهر الفولجا - شــمالًا - إلى جنوب خط الاســتواء - جنوبًا- ، هل معنى ذلك أن

كل هـذه المـدن ليسـت إسـلامية ؟ أو لا أهمية لها في حياة الإسـلام والمسلمين، أو لا حق فيها للمسلمين ؟ !

ثـم إن مكـة المكرمة، لـم تكن في يوم مـن الأيام عاصمـة لدولة إسـلامية، فهـل يعنـي ذلـك أنهـا لا أهميـة لهـا فـي حياة الإسـلام والمسلمين ؟ !

ومع هذه المكانة للقدس في القرآن الكريم، وفي معجزات رسول الإسلام، وبين المدن الإسلامية الثلاث، التي تميزت بالحرمة، فغدت حرمًا آمنًا ومقدسًا في وجدان المسلمين وحياتهم العلمية، والفكرية والثقافيـة والأدبيـة والروحية، فقد تميزت السـيادة الإسـلامية على القدس، عبر تاريخها الإسـلامي، بميزة تفردت بها القدس الإسلامية عـن حياة هذه المدينة إبـان اغتصابها من قبل الآخرين، ففي الحقب التـي انحسـرت فيهـا السـيادة الإسـلامية والعربيـة عـن القدس تم احتكارها من قبل الغاصبين، بينما تميزت السـيادة الإسلامية عليها بإشـاعة قدسـيتها بين كل أصحاب المقدسات من مختلف المذاهب والديانـات، حتـى غدت هذه الحقيقـة قانونًا في تاريـخ هذه المدينة المقدسة، لم يعرف التخلف أو الاستثناء.

لقـد احتكرهـا الرومـان – فـي عهـد وثنيتهـم – دون النصـارى واليهـود، فلما تدينت الدولـة الرومانية بالنصرانية احتكرت القدس دون اليهـود، بـل ودون المذاهـب النصرانيـة التـي لا يرضـى عنها الرومان !

وعندما اغتصبها الصليبيون الفرنجة، احتكروها دون المسلمين واليهـود، واليوم، يصنع الصهاينة هـذا الاحتكار للقدس، بالتهويد، وبتهديـد المقدسـات غيـر اليهوديـة، وتقليـص الوجـود العربي – الإسلامي والمسيحي – في هذه المدينة.

على حين سجل التاريخ الإسلامي للقدس، أن المسلمين هم الذين سمحوا لليهود بالعيش فيها، والتعبد بها، بعد أن كان أهلها النصارى – إبان الفتح الإسلامي لها – يطلبون ألا يسكن فيها أحد من اليهود ولا من اللصوص!

وفي عهدها الإسلامي أشاع المسلمون قداستها وقدسيتها لكل أصحاب المقدسات، على اختلاف المذاهب وتعدد الديانات، لا لمجرد (التسامح الإسلامي)، وإنما لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يكتمل الإيمان به إلا بالإيمان بكل النبوات والشرائع والرسالات، فالمسلمون وحدهم – بحكم عقيدتهم الدينية – هم الذين يعترفون بالآخرين، ويؤمنون بقدسية وحرمة مقدسات هؤلاء الآخرين، ومن ثم فإنهم وحدهم – بحكم هذه العقيدة، التي صدَّقت عليها الممارسات التاريخية – المؤتمنون على كل مقدسات هذا الحرم القدسي الشريف، فإسلامية السيادة على هذه المدينة، ليست مصلحة إسلامية خاصة، ولا امتيازًا فلسطينيّا وطنيّا، ولا ميزة قومية عربية، وإنما هي – أولًا وقبل كل شيء – الضمان لبقاء القدس حرمًا آمنًا لكل الذين يعبدون الله.

تلك هي حقيقة قضية القدس، وعلاقتها ومكانتها بين اليهودية والإسلام..

وبمثل هذا المنطق يجب أن يكون الحوار مع الآخرين، والتفنيد لدعاوى الخصوم، فبه نقنع المحاورين، ونزداد يقينًا بحقنا المشروع في القدس الشريف، ونسحب البساط من تحت أقدام الخصوم، ويكون حوارنا مع العالم حوار العلم بمنطق العلماء.

والله – سبحانه وتعالى – أعلم.

إسلامية القدس .. ماذا تعني؟

القدس – كل القدس – حرم مقدس، كما أن مكة – كل مكة – حرم مقدس، ولقد أطلق القرآن الكريم على هذه المدينة المقدسة مصطلح (المسجد) قبل الفتح الإسلامي لها، وقبل بناء المساجد الإسلامية فيها، فهي (مسجد) كما أن مكة (مسجد) –أي قِبلة للساجدين– حدث ذلك منذ العام الثاني قبل الهجرة – عام معجزة الإسراء–:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)

فالإسراء قد حدث من مكة إلى القدس –المسجد–، وهو قد أقام رباطًا بين هذين الحرمين المقدسين، هو آية من آيات الله، سبحانه وتعالى، وهو رباط يجسد وحدة الدين الإلهي عبر كل النبوات والرسالات، فالمسجد الحرام، الذي هو أول بيت وُضع للناس في الأرض، والذي أصبح قبلة أمة الرسالة الخاتمة، عندما يربط الله (بالإسراء) بينه وبين القدس – قبلة النبوات السابقة – إنما يرمز بذلك إلى وحدة الدين الإلهي، وإلى اكتماله بالإسلام، وإلى تضّمن العقيدة الإسلامية الإيمان بكل الرسل والرسالات من آدم إلى محمد، عليهم الصلاة والسلام، لا نفرق بين أحد من رسله.

وإذا كان المسلمون هم الذين سموا هذه المدينة: (القدس)، و(القدس الشريف)، و(بيت المقدس)، و(الحرم القدسي)، منذ فتحهم لها (سنة ١٥هـ / ٦٣٦م) – وذلك بعد أن كان

اسـمها يومئذ (إيليا الكبرى) - فلقـد صنعوا ذلك ليعلنوا بهذه الأسماء القدسية عن قداستها، ولم يكن قد قام فيها يومئذ مسجد من مساجد الإسلام، ولا دخل أحد من أهلها في دين الإسلام!

لقـد عاملوهـا - كمـا شـاء الله لهـا - معاملة الحـرم المقدس، وتجلى هـذا الاعتقاد الإسـلامي في أحداث الفتـوح، فكما أن مكة حـرم مقدس، ولذلك لا يحـل فيها القتال، كذلـك عامل الفاتحون المسـلمون القدس، فحاصرها جيش المسلمين، بقيادة أبي عبيدة بـن الجراح، حتى رغب أهلها في الصلح، دونما قتال؛ لأنها حرم لا يحـل فيها القتال؛ بل لقد ظلت هذه الحرمة عقيدة إسـلامية مرعية عبـر عصور التاريخ.. فعلى الرغم مـن أن الصليبيين الذين اقتحموا القـدس عنـوة (٤٩٢ هـ - ١٠٩٩م) قـد أبادوا جميع مـن بها من المسـلمين، عندمـا أقاموا فيها مجزرة دامت سـبعة أيام، لم يسـلم مـن الذبـح فيها حتـى الذين احتموا بالمسـجد الأقصـى، فذبحهم الصليبيون، حتى جرت الدماء في المسـجد كالنهر، وسـبحت فيه خيـول الصليبيين حتى لُجُـم هذه الخيول!. علـى الرغم من ذلك، عامل صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩هـ/ ١١٣٧ - ١١٩٣م) هـذه المدينـة المقدسـة معاملة الحرم الـذي لا يجـوز ولا يحل فيه القتـال، فحاصرهـا (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) حتى صالـح الصليبيين فيهـا على التسـليم، فهي ليسـت مجـرد مدينة، وإنمـا هي حرم، وبعبـارة صلاح الدين: «إنها إرثنا وإرث كل أصحاب الديانات، فيها تجتمع الملائكة، ومنها عرج نبينا إلى السماء».

ولتقديس الإسـلام لهذه المدينة، باعتبارها مسجدًا وحرمًا وقبلة

للنبوات السابقة. ولأن الإسلام وحده هو الذي جعل الإيمان بالنبوات والرسالات السابقة جزءًا من عقيدته، تميزت السلطة الإسلامية عبر تاريخ السيادة السياسية للدولة الإسلامية على مدينة القدس، بإشاعة قدسيتها لكل أصحاب المقدسات من أبناء كل الديانات السماوية، فكانت الدولة الإسلامية وحدها والسلطة الإسلامية دون سواها هي المؤتمنة والأمينة على المقدسات غير الإسلامية في هذا الحرم القدسي الشريف، بينما كان العكس - أي الاحتكار - هو موقف كل السلطات غير الإسلامية التي استولت على مدينة القدس، فالرومان قد احتكروها لأنفسهم، دون اليهود والنصارى، في حقبة الوثنية الرومانية، وبعد أن دخلوا في النصرانية احتكروها دون اليهود، وعندما فتح المسلمون القدس، كان من مطالب أهلها - النصارى - ألا يسكن فيها أحد من اليهود ولا أحد من اللصوص!.
وصنع هذا الاحتكار أيضًا الصليبيون، الذين احتلوها تسعين عامًا، فبعد أن ذبحوا اليهود مع المسلمين، احتكروا مقدسات المدينة، حتى لقد حولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة لاتينية، وإلى اصطبل لخيول فرسان الإقطاع اللاتين!. ونفس الاحتكار يصنعه الصهاينة اليوم، عندما يطاردون الوجود العربي فيها - إسلاميّا ونصرانيّا - ويهددون المقدسات بالاستيلاء والهدم والتحويل!

والفارق بين المسلمين وغيرهم في هذه القضية - إشاعة قدسية القدس أو احتكارها - ليس مجرد تسامح يقابل التعصب، وإنما هو دين واعتقاد ديني، فالإسلام وحده هو الذي يعترف بكل الرسالات والشرائع الدينية، ومن ثم يعترف بقدسية مقدسات أهلها، ولقد

جعلت دولته من أمان وتأمين غير المسلمين على عقائدهم وصلبانهم وكنائسهم -مع أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم- دينًا وعهدًا وميثاقًا، بينما اليهودية لا تعترف لا بالمسيحية ولا بالإسلام، والنصرانية تتخذ نفس الموقف من الآخر الديني ومن مقدساته، ولذلك لم تكن صدفة، ولم يكن مجرد تسامح أن تشيع قدسية القدس بين كل أصحاب المقدسات، في ظل السيادة الإسلامية على القدس، وأن تقع هذه المدينة وقداستها في الاحتكار عندما يسيطر عليها الآخرون، الأمر الذي يجعل من السيادة الإسلامية على القدس المصلحة المحققة لكل أصحاب الديانات، وليس فقط للمتدينين بدين الإسلام؛ ولأن هذه هي حقيقة الاعتقاد الإسلامي، التي جسدتها السيادة الإسلامية على القدس، فلقد رأينا - عبر تاريخ هذه المدينة المقدسة - حجج أوقاف الكنائس النصرانية تنص على أن يكون (نظار) هذه الأوقاف الكنسية من المسلمين؛ بل وتنص كثير من هذه الحجج على أن تكون (مفاتيح) الكنائس بيد أسر مقدسية مسلمة!

ولأن هذا هو مقام القدس في عقيدة الإسلام والمسلمين، وموقعها في التاريخ الإسلامي، ومكانتها في الدولة الإسلامية، فإننا يجب أن نتعامل معها، في هذا الطور من أطوار الصراع التاريخي حولها وعليها، باعتبارها أكثر من قطعة أرض، وأعظم من مدينة، وأهم من عاصمة للدولة الفلسطينية، وأخطر من كونها قلب الصراع العربي الصهيوني، إنها كل ذلك وأكثر من ذلك، إنها جزء من عقيدة أمة يبلغ تعدادها مليارًا وثلث المليار، وليست مجرد قضية وطنية

لثمانية ملايين من الفلسطينيين، ولا مجرد مشكلة قومية لأقل من ثلاث مئة مليون عربي، إنها عاصمة الوطن الفلسطيني، ومحور الصراع العربي الصهيوني، وفوق كل ذلك، إنها عقيدة إسلامية، وحرم مقدس، والرباط بينها وبين الحرم المكي هو التجسيد لعقيدة وحدة دين الله، التي جاء بها الإسلام، فإسلامية القدس، وإسلامية موقفنا في الصراع حولها، يضيف للإمكانات الوطنية الفلسطينية والطاقات القومية العربية، ولا ينتقص منها؛ بل إن هذه الإسلامية لقضية القدس، هي - كما أشرنا - في مصلحة سائر أصحاب المقدسات من سائر المتدينين بالديانات.

وإذا كانت هذه هي حقيقة أبعاد موقفنا من قضية القدس؛ فإن الوعي بهذه الحقيقة، واستدعاء طاقات هذه الأبعاد الإسلامية، تتزايد وتشتد عندما نعلم أبعاد الموقف المعادي إزاء هذه المدينة المقدسة.

صحيح أننا نواجه - في القدس وفلسطين - مشروعًا استعماريّا استيطانيّا عنصريّا، لكنه ليس كغيره من المشاريع الاستيطانية العنصرية - كالذي قام في جنوب إفريقيا مثلًا - وإنما نواجه أبعادًا أسطورية دينية لهذا المشروع الاستيطاني الاستعماري العنصري، تجعل من استدعاء الأبعاد الدينية الإسلامية لموقفنا من هذه القضية ضرورة صراعية، فضلًا عن أنها دين واعتقاد.

فهذا المشروع الاستيطاني العنصري، القائم الآن في القدس وفلسطين، قد تبلور أول ما تبلور في (اللاهوت البروتستانتي) الغربي، انطلاقًا من الفكر الأسطوري حول (رؤيا يوحنا)، وعودة

المسيح -عليه السلام- ليحكم الأرض ألف سنة سعيدة، بعد معركة (هرمجدون)، والذي جعل من جمع اليهود وحشدهم في فلسطين، وتهويد القدس، وإقامة الهيكل فيها على أنقاض المسجد الأقصى، أي جعل من تحقيق العلو الصهيوني دينًا يتدين به البروتستانتي في الغرب، ثم حدث تبشير بهذا المشروع البروتستانتي بين الجماعات اليهودية، فتلقفته الصهيونية - كحركة قومية عنصرية - والإمبريالية الغربية - إبان زحفها على الشرق الإسلامي - وبحثها عن أقليات توظفها - كمواطئ أقدام - في المشروع الاستعماري، فاجتمعت لهذا المشروع الاستيطاني الاستعماري العنصري عناصر متعددة ومركبة، منها:

١- البعد الديني في لاهوت النصرانية الغربية، وهو الذي بدأ بروتستانتيًا، ثم مارس الابتزاز والتأثير على الكنيسة الكاثوليكية الغربية، حتى جعلها تشرع في (تهويد نصرانيتها) - بدلًا من تحقيق الاعتراف اليهودي بالنصرانية! - فهي الآن تسعى لتجعل (يَهْوَ) إلهها!.. وتتحدث عن (دمج المسيح في إسرائيل) وتعدِّل، ليس فقط في (الفكر المسيحي)، وإنما في (الأناجيل والصلوات)! لتصل إلى طلب (الغفران) من اليهود، بعد أن عاشت قرونًا تبيع (صكوك الغفران)!

٢- والبعد الاستعماري العلماني - بل والدهري الوضعي والمادي- فبونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١م) الوضعي الدهري، هو أول من دعا إلى توظيف هذه الأساطير الدينية في خدمة مشروعه الاستعماري، و(سايكس) -السياسي الاستعماري الإنجليزي-

الذي عقـد مع (بيكو)- الفرنسـي- معاهدة (سـايكس - بيكو) سـنة ١٩١٦م لتمزيـق الدولة العثمانيـة، وتوزيع أجزائهـا العربية بين القوى الاسـتعمارية، قد أقاموا له تمثالاً في قريته (سلدمير) - بمقاطعة (يورك شـاير) مكتوب عليه: «ابتهجي يا قدس»! فالقدس هـي هـدف الاسـتعمار الغربي العلمانـي، كما هي هـدف اللاهوت النصراني الغربي.

وعندمـا دخـل الجنـرال الإنجليـزي (اللنبـي) القـدس سـنة ١٩١٧م، تقمـص صورة بابوات الحروب الصليبيـة، فقال: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»! ويومها نشرت مجلة (بنش - **Punch**) الإنجليزية رسـمًا يمثل (ريتشـارد قلب الأسد) -الملك الصليبي- وهو يقول: «الآن تحقق حلمي»!

أمـا الجنـرال الفرنسـي (جـورو) -الذي يرفـع رايـة العلمانية الفرنسـية المتطرفـة- فهو الذي يذهب -عند دخوله دمشـق سـنة ١٩٢٠م- إلـى قبر صـلاح الدين الأيوبي، ليركلـه بقدمه، ويقول: «ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين»!

فالبعد العلماني الغربي، يحالف ويعانق ويسـاند ويوظف البعد اللاهوتي الغربي في الصراع على القدس وفلسطين.

٣- والبعـد الإمبريالـي الأمريكي المعاصر، الجامـع بين الدين والاستعمار، يوظف (المسيحية - الصهيونية) في خدمة (تَدْيين) الاغتصـاب الصهيونـي الغربـي للقـدس وفلسـطين، فالكونجرس الأمريكي، عندما يقرر في سـنة ١٩٩٥ نقل السفارة الأمريكية إلى القدس - وبناءها على أرض الأوقاف الخيرية الإسلامية! - يقول في

مقدمة قراره هـذا : «إن القدس هي الوطن الروحي لليهودية» ! مع أن هذه القدس لم يرها نبي اليهودية موسـى -عليه السـلام- ولم تنزل فيها توراة اليهودية، وإذا كان داود وسـليمان -عليهما السلام- قد عاشـا فيها برهة مـن تاريخها الطويل، فهما -بنظـر اليهود- ملوك وليسـوا رسـلًا ولا أنبياء فلـم؟ ومتى كانت القـدس الوطن الروحي لليهوديـة؟! إن الإمبرياليـة تحـول الأسـاطير إلـى ديـن تدعـم به الاغتصاب!

٤- وأخيـرًا، البعـد العنصري الصهيوني، الـذي حول اليهودية إلـى عنصريـة صرفـة، لا علاقة لهـا بذلك الديـن السـماوي الذي أنزله الله على موسـى -عليه السـلام- فتعريف اليهودي -في دائرة معـارف كيانها الاسـتيطاني- هـو (المولود مـن أُمٍّ يهودية) أي إن هـذا العامل (البيولوجـي)، وليس التدين بالدين، هـو الذي يحدد يهوديـة اليهودي، فالمولود من أم يهودية - حتى ولو كان ابن زنى، أو ملحدًا- يصبح يهوديًّا، ومن شـعب الله المختار، وصاحب الحق في الاستيطان والاغتصاب للقدس وفلسطين!!

هكـذا، نواجه - في القدس وفلسـطين - اسـتعمارًا اسـتيطانيّا إمبرياليّا عنصريّا، يوظف الأسـاطير والأوهام والأكاذيب، ليجعلها دينًا يدعم المشـروع الاسـتعماري، و(روحانية) تغلف الاستيطان العنصـري، فهل نتـرك العدو يدعـم الباطل بالأسـاطير، ونهمل - نحن- تأييد الحق الفلسـطيني الوطني، والمطلـب العربي القومي بحقائـق الوحي الإلهي، وصادق الاعتقـاد الديني، وناصع صفحات واقع الحضارة والتاريخ؟!

إن الذين يخافون من (أسلمة) الصراع حول القدس وفلسطين – حتى إذا حسنت نواياهم – هم كالسفهاء، الذين لا يعرفون قيمة (الأسلحة الإيمانية)، التي ورثوها عن الأجداد في هذا الصراع التاريخي الطويل، وهم بهذا السفه إنما ينزعون من الأمة أمضى أسلحتها في هذا الصراع، فيرجحون بذلك كفة الأعداء في هذا الصراع.

إن إسلامية القدس، هي (الحق) الذي نفل به أساطير الأعداء، وهي لا تنتقص من الإمكانات الوطنية الفلسطينية والطاقات القومية العربية في هذا الصراع، وإنما تضيف إليهما طاقات الاعتقاد الإسلامي وإمكانات أمة الإسلام.

كما أن هذه الإسلامية لا تهدد جهادنا بشبهة (الحرب الدينية)، التي يخافها كثيرون، لأن إسلامية القدس هي وحدها ضمان شيوع قدسيتها بين جميع أصحاب المقدسات، من كل الديانات، ومن ثم فإنها ضمان عدم احتكارها، وهو الاحتكار الذي يهددها بالتهويد في هذه الأيام.

وثيقة دولية: الحرم القدسي وقف إسلامي مملوك للمسلمين

في أغسطس سنة ١٩٢٩م -وفي حماية سلطات الاحتلال الإنجليزي التي تحكم فلسطين- تطلعت أحلام الصهيونية إلى ما وراء الأرض الفلسطينية، تطلعت إلى المقدسات الإسلامية، وبدأت بمحاولات وضع أقدامها على حائط البراق -الذي أسموه حائط المبكى!- وذلك ليكون سبيلهم إلى اغتصاب المسجد الأقصى، وإقامة الهيكل على أنقاضه، وكانت سلطات الاحتلال الإنجليزي عونًا للصهيونية على تحقيق هذه الأطماع، وإن بالتدريج، فهذه السلطات الإنجليزية ذات عقيدة بروتستانتية -أنجليكانية- ترى في تحقيق هذه الأحلام الصهيونية شرطًا من شروط عودة المسيح عليه السلام ليحكم الأرض ألف سنة سعيدة!

ويومئذ انتفض الشعب الفلسطيني فيما عرف (بثورة البراق)، فقامت (عصبة الأمم) بتكوين (لجنة دولية) لتقصِّي الحقائق التاريخية والواقعية حول حائط البراق والحرم القدسي الشريف، للفصل في النزاع حول ملكيته، ولقد درست هذه اللجنة الدولية تاريخ هذا الحرم القدسي، واستمعت إلى شهادات الممثلين لأطراف النزاع -من العرب واليهود- ثم خلصت إلى هذا التقرير، الذي مثل -ولا يزال يمثل- وثيقة دولية تقول: «إن للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي (حائط البراق)، ولهم وحدهم الحق العيني فيه، لكونه يؤلف جزءًا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف، التي هي أملاك الوقف. وللمسلمين أيضًا، تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط، لكونه موقوفًا، حسب أحكام الشرع الإسلامي، لجهات البر والخير».

لقد صدرت هذه الوثيقة الدولية في ديسمبر سنة ١٩٣٠م، وهي شهادة تثبت الحق الإسلامي في المقدسات المقدسية، ويأتي ذكرها الآن سندًا للجهاد القائم والدائم لاستخلاص الحق من غاصبيه.

مقدساتنا الإسلامية
قبة الصخرة والمسجد الأقصى

للدكتور عبد الرحمن زكي

مقدمة

لكل مدينة من المدن القديمة ، شخصيتها التي تميزها عن غيرها ، سـواء من ناحية موقعها الطبيعي ، أو في أسلوب مبانيها المعماري ، إلـى جانب الأحـداث التاريخية التي مرت بها ، وبيـت المقدس في طليعة مدن الشرق العربي التي لها مكانتها الروحية عند المسلمين والمسـيحيين واليهود ، ومع ذلك فإنها لـم تنج من أهوال الغزوات وأحـداث الحصار المتعاقبة يزورها المسـلمون للصلاة بالمسـجد الأقصى وقبة الصخرة ، ويكرم المسـيحيون كنيسـة القبر المقدس التي تقوم على المكان التقليدي الذي يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب فيه . ويزعم اليهود أن جانبًا من أحد جدران المسجد الأقصى بني بأحجار أخذت من هيكل الملك سـليمان . ويمتد تاريخ القدس إلـى القرن ١٥ ق.م. وجعلها الملـك داود عاصمته بعد أن انتزعها من مؤسسـيها اليبوسيين وأقام سليمان هيكله العظيم بها ، فزاد من بهائهـا واتخذها ملـك يهوذا عاصمة مملكته وظهـر فيها كثير من أنبيـاء اليهـود الذين نادوا برسـالتهم في طرقاتهـا ، وفي عام ٥٨٦ ق.م. سـقطت في قبضة البابليين ، ثم استعادها اليهود بعد عودتهم من بابل ، لكي تقع في أيدي الرومان الذين انصب سـخطهم عليها ، فهدم تيطوس أبنيتها وهدم هيكلها العظيم « ٧٠م » وتجددت عظمة بيت المقدس حينما اعتنق الأمبراطور قسطنطين المسيحية .

أما المسـلمون فيؤمنون بأن الله أسـرى بعبده ليلا من المسـجد الحرام إلى المسـجد الأقصي ، لذلـك عاملوها معاملة كريمة حينما فتحهـا العـرب في أيام الخليفـة عمر بن الخطـاب ٦٣٥م فأنزلوها في قلوبهم منزلة عزيزة ، إذ جعلوها حرمًا مقدسًـا ، يأتي في المرتبة الثانية بعد مكة المكرمة ثم نشبت الحروب الصليبية ، فسقطت في

أيدي الصليبيين عام ١٠٩٩ ، ولكن استعادها المسلمون على يد صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧ ، ثم فتحها العثمانيون « ١٥١٦ » وبقيت في أيديهم ثم سقطت في أيدي البريطانيين عام ١٩١٧ في أثناء الحرب العالمية الأولى.

ونتناول في هذا الكتاب، الحديث عن أهم الآثار الإسلامية في المدينة، ورأينا أن نقسم الموضوع إلى ثلاثة أقسام: فتكلمنا في القسم الأول عن الحرم القدسي، وفي الثاني عن قبة الصخرة، وفي القسم الثالث عن المسجد الأقصى. وقد أوضحنا المراحل التاريخية التي مرت بها عمارة كل منها؛ فهي دراسة تاريخية فنية تستهوي محب التاريخ والفن الإسلامي، تمس أعز مقدساتنا الإسلامية، حفظها الله دوامًا في أيدى المسلمين.

الحرم القدسي

تقدر مساحة الحرم القدسي بحوالى ٢٦٠٦٥٠ مترًا مربعًا، يضمها سور، يبلغ طوله في الناحية الشرقية ٤٢٤ مترًا، ومن الناحية الغربية ٤٩٠ مترًا، ومن الناحية الشمالية ٣٢١ مترًا، ومن الناحية القبلية ٢٨٣ مترًا[٧٨]

وكان موضع الحرم فيما مضي يدعى «تل المريا» الذي جاء ذكره في سفر التكوين، موضوعاً تملكه اليهود حقبة من الدهر، ثم عاد إلى حظيرة المسلمين، فأسموه «الحرم القدسي».. إنه هو المسجد الأقصى.. أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين.. المسجد الذي أسري إليه بالنبي الكريم، وفي ذلك نزلت الآية الكريمة.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)

في القرن الرابع عشر:

وقد وصف تاج الدين أحمد، الحرم القدسي وقبة الصخرة عام ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م في كتيب سماه (المُسجد في صفة الصخرة والمسجد، ونقل ابن فضل الله العمري هذا الوصف الشامل في كتابه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)[٧٩].

قال: «... ولننتقل بعد ذلك إلى صحن الصخرة المحيط بها،

---

(٧٨) عارف العارف: تاريخ القدس، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٥١

(٧٩) الجزء الأول: ص ١٤٠-١٦٧ تحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا، طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٢هـ -١٩٢٤م.

فجميعه مفروش بالبلاط الجليل المصقول.

وذرْعُه [أي طوله] من القبلة للشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعًا، ومن الشرق للغرب مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعًا ونصف ذراع. وذرع ما بين الرواق الذي قبلي الباب القبلي من أبواب الصخرة إلى رأس السلالم الموصلة للجامع ثلاثة وخمسون ذراعًا، ومن رأس السلالم إلى عتبة الجامع مئة وخمسون ذراعًا ونصف وربع. وبأعلى هذه السلالم أربع قناطر (عقود) محمولة على ثلاثة عمد وكتفين من البناء: منها عمودان صوان أحمر، والوسطاني رخام أبيض، فيه نقر مربع وعلى مقربة من هذه القناطر قبتان من الرخام، واحدة تعلو الأخرى كل منهما قطعة واحدة، تسمى قبة الميزان، محمولة على اثني عشر عمودا من الرخام، بقواعد (شمعية) وارتفاع القبة ثمانية أذرع وثلثان وارتفاع العمد السفلي ذراعان وسدس، وارتفاع العمد الفوقاني ذراع ونصف وربع، وتعرف أيضًا بقبة النجوى.

المدرسة المعظمية:

وبالقرنة [أي الجهة] القبلية من جهة غربي الصحن موضع يعرف بالمدرسة المعظمية، طولها من ظاهرها أربعة وثلاثون ذراعًا، وعرضها من القبلة للشمال سبعة أذرع، لها بابان يفتحان للشمال، تحدهما ثلاثة أعمدة من الرخام، كل عمود به أربعة في جسد واحد ملفوفة مثعبنة. وتلو ذلك عمودان.

وارتفاع بنائها تسعة أذرع من أرض صحن الصخرة، ويدخل من هذين البابين لرواق طوله ثمانية عشر ذراعًا ونصف في عرض ستة. بصدره القبلي ثلاث طاقات مطلة على الحرم وأبواب الجامع..

وبالجهـة الغربيـة منه قبـة معقودة . وبالجهة الشـرقية مـن الرواق المذكور قبة ألطف من هذه تعرف بقية الملك المعظم . وهي سـكن الإمام وقَيِّم المكان ، وحاصل الزيت .

ويقابل المدرسة المعظمية في القرنة الشرقية من هذا الصحن قبة لطيفة مكسـوة من ظاهرها بالبياض ، وهي خلوة لبعض المتصدرين بالحـرم الشـريف ، يفتح بابها للشـمال ، وفي حائطـي هذا الصحن الغربـي والشـمالي مسـطبتان تعلـو إحداهما قبلة مـن جهة الغرب والأخرى في الشمال لها سقف على عمودين من رخام ، يصلي عليها المبلغون في الصلوات الخمس .

قبة المعراج:

بابها يفتح للشمال ، سعته ذراع وثلث ، وطوله ذراعان وثلث بظاهرهـا حامـلان لأركانـه من العمـد الرخام الأبيـض يحملها ثلاثـون عمـودا ، طول كل عمـود ، خارجًـا عن القواعـد ، ذرعا وثلثا ذراع والتثمينة التي بين الأعمدة ملبسـة ألواح رخام ملكي مشـجرة بأزرق . يصعد إلى بابها بثلاث درج رخام . ثم ينزل إلى داخلها بمثلهن . أرضها مفروشة بالرخام الأبيض ، وحيطانها من داخل كذلك ، مثل الظاهر . بباطنها ثمانية عشر عمودًا . وبأعلى الرخام المذكور طاقات نصاص شبه الجبس ثلاثة ، وزجاج أربعة . وبأعلى الطاقات كرسـي القبة . ومن قطـب القبة لأرضها ارتفاع سـتة عشـر ذراعًا . وبظاهرها في أعلاه قبة لطيفـة مكان الهلال محمولة على سـتة أعمدة صغار رخام شـمعية ، طـول كل واحد منها مقدار ذراع .

الصهاريج:

في سفل الحرم منها خمسة عشر صهريجًا . بالجهة القبلية ستة . وبالجهة الشـرقية ثلاثة آبار ، وبالجهة الشمالية ثلاثة آبار ، وبالجهة الغربية ثلاثة . وهذه الآبار الاثنتان والعشرون عامرة بالمياه . وهناك ثلاثة صهاريج أخرى خربة معطلة» .

وإلى هنا ينتهي حديث تاج الدين أحمد .

أبواب الحرم:

للحـرم في يومنا عشـرة أبواب ، هـي : من الشـمال إلى الغرب : ١- باب الأسباط ، ٢- باب حطة ، ٣- باب شرف الأنبياء (ويسمى الباب العتم أو باب الداودية أو باب الملك فيصل) .

ومن الغرب إلى الجنوب : ٤- باب الغوانمة (ويسمى باب الخيل أو بـاب الوليد ، ٥- باب الناظر (ويسـمى بـاب علاء الدين البصير أو باب الحبس أو باب ميكائيل) ، ٦- باب الحديد (ويسـمى باب أرغـون) ، ٧- بـاب القطانيـن ، ٨- بـاب المتوضا (ويسـمى باب المطهرة) ، ٩- باب السلسـلة (ويسـمى بـاب داود) ، ١٠- باب المغاربة (ويسمى باب النبي) .

وهنـاك أربعة أبواب مغلقـة هي : من الغرب : ١- باب السـكينة (ويسـمى باب السحرة) ، ومن الشرق : ٢- باب الرحمة ، ٣- باب التوبة ، ٤- باب البراق (ويسمى باب الجنائز) .

قباب الحرم:

قبة السلسلة : تنهض عدة قباب رائعة في داخل الحرم ، فعلى بعد بضعة أمتار من مسـجد الصخرة تقع قبة السلسـلة ، وقد شيدت في أيـام عبد الملك بن مـروان ، بناها نموذجًا يسـير عليه البناءون في

بناء قبة الصخرة. واتخذها بعدها بيتًا للمال، وزخرفت بالقاشاني في أيام السلطان سليمان القانوني.

قبة المعراج: تقع غربي مسجد الصخرة إلى الشمال، شيدها الاسفهلار عز الدين عثمان بن علي بن عبد الله الزنجيلي متولي القدس (١٢٠٧م)، ومحراب النبي بين مسجد الصخرة وقبة المعراج، أنشأه الأمير محمد بك صاحب لواء غزة والقدس (١٥٣٨م).

قبة يوسف: على بعد مئة متر من مسجد الصخرة إلى الجنوب، شيدها الأمير الاسفهلار سيف الدين علي في عهد صلاح الدين (١١٩١م).

القبة النحوية: تقع إلى الجنوب من صحن الصخرة عند الدرج المؤدي إلى باب السلسلة، شيدها والي القدس الأمير حسام الدين أبو سعد قمباز بأمر الملك المعظم عيسى (١٠٢٧م) وهناك أيضًا: قباب الشيخ الخليلي، وقبة الخضر، وقبة سليمان وقبة موسى تجاه باب السلسلة، وقد شيدها الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٩م). وكانت في أيامه تدعى قبة الشجرة.

مآذن الحرم:

وللحرم أربع مآذن هي: مئذنة باب المغاربة وهي في الركن الجنوبي الغربي، وتسمى المنارة الفخرية، شيدها القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي (١٧٢٨م).

مئذنة باب السلسلة: غربي الحرم وفوق باب الكنيسة شيدها الأمير سيف الدين تنكز الناصري (١٣٢٩م).

مئذنــة باب الغوانمة : في الركن الغربي الشــمالي ، بناها القاضي شرف الدين عبد الرحمن الذي شيد المئذنة الأولى ، بأمر من الملك المنصور حســام الديــن لاجين (١٢٩٧م) ، ثم جددهــا الأمير تنكز فــي عهد الملك الناصــر محمد قلاوون ، ولذلك يطلــق عليها مئذنة قلاوون .

مئذنــة باب الأســباط : تقع بين باب الأســباط وبــاب حطة ، وفي الناحية الشــمالية الشرقية من الحرم ، أنشــأها ناظر الحرمين الأمير ســيف الدين قطلوبغا في أيام الملك الأشــرف شــعبان بن حسن ابن الملك الناصر محمد قلاوون (١٣٦٧م) .

أروقة الحرم:

في طرف الحرم من الغرب أروقة محكمة البناء ، أنشئت في عهد الملك الناصر محمد قــلاوون « ١٣٠٧-١٣٣٦م » . . وفي طرفه من الشمال أيضًا أروقة بعضها أنشيء في أيام الملك الأوحد . . وبعضها في زمن الملك الأشرف شعبان « ١٣٦٧م » .

وقد ســد العثمانيون هذه الأروقة في أيامهم ، فاتخذوها مســاكن لإيواء المحتاجين والمهاجرين من فقراء المسلمين بيد أن المجلس الإســلامي منذ تولى الإشــراف علــى الحــرم ١٩٢٢م أزال جدرانها الخارجية وأعادها إلى ما كانت عليه في أيام المماليك .

أسبلة الحرم (المساقي):

في الحرم آبار كثيرة ، يســتقي منها أهــل مدينة القدس القديمة ، كما أن بها عدة سبل ، من أهمها :

ســبيل شعلان ، أنشأه الملك المعظم عيسي « ١٢١٦م » ، وجدده

الأشـــرف برسباي «١٢٤٩م»، وســبيل علاء الدين البصير، وسبيل قايتبـاي، بناه الملك الأشـرف أينـال «١٤٥٥م» ثم جـدده الملك الأشــرف قايتباي «١٤٨٢»، وسبيل قاسم باشا أنشأه متولي القدس قاســم باشا في أيام ســليمان القانوني «١٥٢٧م» وهناك سبل أخرى أنشئت في أيام العثمانيين.

مساجد ساحة الحرم:

ويقوم في ساحة الحرم عدة مساجد صغيرة، وهي:

مسجد قبة موسى أمام باب السلسلة من الشرق، ومسجد باب حطة تجاه باب حطة من الجنوب، ومسجد كرسي سليمان وهو ملاصق للسور الشرقي، ومسجد المغاربة عند باب المغاربة من الشرق، ومسجد باب الغوانمة عند باب الغوانمة من الشــرق وفيه اليوم دار الكتب والمتحف الإسلامي، ومسجد دار الإيمان عند باب المجاهدين.

قبة الصخرة

تقع قبة الصخرة في وسط الحرم الشريف ببيت المقدس، وقد أطلق عليها اسم جامع عمر؛ لأن الخليفة الثاني كان قد أقام في موضعها مصلى صغيرًا من الخشب، وشيد عبد الملك بن مروان على أنقاضه البناء الحالي، الذي شرع في تشييده سنة ٦٦هـ - ٦٨٥م وفرغ منه سنة ٧٢هـ - ٦٩١م، ومع ذلك فقد قال بعض المؤرخين غير ذلك.

وقبة الصخرة أروع العمائر الإسلامية ومازالت إلى اليوم فريدة في عمارتها، ولم يقلد المسلمون تصميمها في المساجد التي شيدوها بعد ذلك.

وقد عني عبد الملك بن مروان بقبة الصخرة عناية زائدة فتأنق في زخرفتها وأبدع في اختيار موادها وانتقاء بنائيها وفنانيها.. فجاءت تحفة معمارية لا مثيل لها حتى اليوم.

والجدير بالذكر أن الصخرة التي شيدت عليها هذه القبة، كانت مقدسة عند المسلمين والنصاري واليهود على السواء.. وتبلغ أبعادها من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧٠م، وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥٠ متر وشكلها نصف دائري تقريبًا، وهي تقع في وسط هضبة صخرية فسيحة تسمى (الحرم الشريف) ويقع على امتداد محورها المسجد الأقصى وحولها درابزين من الخشب المنقوش والمدهون، وضعه الملك العزيز عثمان الأيوبي.

وحول هذا الدرابزين مصلى للنساء له أربعة أبواب، ويفصل بين هذا المصلى ومصلى الرجال سياج من حديد مشبك، كان قد بناه الصليبيون.

ويلاحظ أن تخطيط قبة الصخرة على شكل المثمن يلائم تمامًا للاحاطة بالصخرة، ويتفق مع الغرض الأساسي من بنائها، وهو الطواف حول الصخرة التي اعتقد الحجاج أن النبي صعد عندها إلى السماء.

وقد اتخذ المسلمون هذه الصخرة قبلة قبل أن يولوا وجوههم شطر الكعبة، وقد ولوا وجوههم شطر الكعبة في السنة الثانية للإسراء.

ومع ذلك فقد ظلت الصخرة محترمة في نظرهم؛ لأن النبي عرج منها إلى السماء.. وهذا ما حدا بعبد الملك بن مروان أن يختارها لبناء مسجده.

قبة الصخرة على أيام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد:

ذكرنا أنها أقدم الآثار الإسلامية التي بقيت على شكلها الأصلي منذ بناها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٦هـ - ٧٢هـ) بعد أن استشار المسلمين ورصد لبنائها خراج مصر لسبع سنين. لم يصل إلينا اسم مبتكر تصميمها، ولكن المعروف أن الخليفة عهد بإدارة العمل فيها إلى اثنين من رجاله هما: رجاء بن حيوة بن جود الكندي أحد العلماء الأعلام في صدر الإسلام وهو من بيسان، ويزيد بن سلام من مواليه وهو من بيت المقدس.

وقد ذكر أنه لما انتهى البناء، بقي من المبالغ المخصصة مئة ألف دينار، فأمر عبد الملك بها جائزة إلى رجاء ويزيد، إلا أنهما رفضاها قائلين له: نحن أولى أن نزيده من حلي نسائنا، فضلا عن

أموالنـا فاصرفها في أحب الأشـياء إليك، فأمر الخليفة بأن تسـبك ذهبا وتفرغ على القبة والأبواب.

وقد نقش اسـم عبد الملك بن مـروان، بالخط الكوفي المذهب علـى قناطر التثمينة الوسـطي مـن الناحيـة الجنوبية الشـرقية من الداخل ولكن فقد اسـم هذا المنشيء، فلا يقرؤه أحد حينما يبحث عنه، بيد أنه يقرأ النص التالي الذي يلي بعض آيات الكتاب:

(بنـى هذه القبة عبـد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سـنة اثنتين وسبعين).

ويلاحـظ أن اسـم الخليفة المأمون والقابـة مكتوبة بخط ضيق، يختلف اختلافًا واضحًا عن الخط المستعمل في سائر أجزاء الكتابة المنقوشـة، فضلا عن أن سـنة ٧٢هـ لا تقع في حكم المأمون بل في سـني حكم عبد الملك بن مروان، وهو منشـيء القبة. ويتضح إذن أن تغييـرًا حدث في هـذه الكتابة التاريخية في عهد المأمون، وفات على الصانع أن يغير التاريخ بعد أن محا اسم صاحب الأثر الخالد.

وقـد أمدنا المؤرخ اليعقوبـي (٢٦١هـ - ٨٧٤م) في كتابه بأقدم نص معروف عن قبة الصخرة، وأوضح لنا بعض الأسـباب التي شيد الخليفـة عبـد الملك مـن أجلها مشـهد القبة بيد أن شـمس الدين أبـي عبد الله المقدسـي «٩٨٥م» قد سـجل لنا في كتابـه[٨٠] وصفًا دقيقـا لهذه القبة الخالدة، ربما تكون أدق ما وصل إلينا حتى اليوم، فلنطالع ما دونه.

وفي الوسـط، قبة الصخرة، على بيت مثمـن بأربعة أبواب، كل

(٨٠) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، ليدن عام ١٩٠٩.

بـــاب يقابـــل رقاة : بـــاب القبلي ، باب إســـرافيل ، بـــاب الصور ، باب النســـاء ويفتح إلى الغـــرب ، جميعها مذهبة ، في وجه كل واحد باب ظريف من خشـــب التنـــوب ، أمرت بهن أم المقتـــدر بالله ، وعلى كل بـــاب صفة مرخمة بالتنوبيـــة تطبق على الصغرية مـــن خارج ، وعلى أبـــواب الصفـــاف أبـــواب أيضًا ســـواذج ، داخـــل البيت ثلاثـــة أروقة دائـــرة على أعمدة معجونـــة بقناطر مدورة فوق هـــذه منطقة متعالية فـــي الهواء ، فيهـــا طيقان كبار ، والقبة من فـــوق المنطقة ، طولها عن القاعـــدة الكبرى مع الســـفود فـــي الهواء مئة ذراع ، تـــرى من البعد ، فوقها ســـفود حســـن طوله قامة وبســـطة ، والقبة على عظمها ملبسة بالصفـــر (النحاس) المذهب وأرض البيت وحيطانه مع المنطقة من داخـــل وخارج مبلطة ، والقبة ثلاث طبقات ، الأولى من ألواح مزوقة ، والثانية من أعمدة الحديد ، قد شيكت لئلا تميلها الرياح ، ثم الثالثة من خشـــب عليها الصفائح ، وفي وســـطها طريق إلى عند الســـفود ، يقصدها الصناع لتفقدها ورمِّها ، فإذا بزغت عليها الشمس ، أشرقت القبة وتلألأت المنطقة ورأيت شـــيئًا عجيبًا ، وعلى الجملة لم أرَ في الإسلام ، ولا سمعت أن في الشرق مثل هذه القبة » .

ويدخل إلى المســـجد من ثلاثة عشـــر موضعًا بعشرين بابا ؛ باب حطـــة ، بابي النبي ﷺ أبـــواب محراب مريم ، بابـــي الرحمة ، باب ؛ بركـــة بنـــي إســـرائيل ، أبواب الأســـباط ، أبـــواب الهاشـــميين ، باب الوليد ، باب إبراهيم ، باب أم خالد ، باب داود ، وفيه من المشـــاهد : محـــراب مريم ، وزكريا ، ويعقوب والخضر ، ومقام النبي ، وجبريل ، وموضع النمـــل ، والنور والكعبة والصراط متفرقـــة فيه ، وليس على

الميسرة أروقة والمغطى لا يتصل بالحائط الشرقي.

ومع ذلك فقد وصف ابن الفقيه ـ الحرم الشريف، وما اشتمل عليه من المعابد، وأهمها قبة الصخرة التي شاهدها في عام ٢٩٠هـ ٩٠٣م، وقد نشر هذا الوصف في الجزء الخامس من المكتبة الجغرافية ـ المستشرق دي جويه في ليدن عام ١٨٨٥، وجاء من بعده العالمان الاصطخري وابن حوقل بعد مرور حوالي خمسة وسبعين سنة بعد ابن الفقيه، فوصفاها ووصفهما متشابه، مما يدل على أنهما نقلاه عن مصدر واحد، وهذا النص موجز لا يفيدنا بالقدر الذي أفدناه من المقدسي.

ويقابلنا بعد المقدسي ناصر خسرو الذي زار القدس في عام ١٠٤٧م أي قبيل وصول الصليبيين للديار المقدسة، ويمكن الرجوع إلى هذا النص المفيد في كتاب رحلته المعروف، أو فيما ترجمه عنه المستشرق البريطاني جاي لوسترانج[٨١] وكذلك العلامة كريسويل في كتابه الكبير: العمارة الإسلامية في عصرها المبكر.

ولم تنج القبة منذ شيدت مما أصيبت به بسبب الزلازل والعواصف والأمطار والأحداث التاريخية التي مرت بالعالم الإسلامي، وفضلا عن ذلك، فما من ملك من ملوك العرب والمسلمين حكم القدس، إلا وقد نهض بإصلاحها أو ترميمها أو تجميلها، من هؤلاء الخليفة المأمون (٧٨٦هـ ـ ٨٣٢م) ولما سقط بعض أجزائها عقب زلزال

---

(٨١) جاي لوسترانج: فلسطين تحت حكم المسلمين «بالإنجليزية» وص ١٢٦-١٣١ طبعة بيروت.

حدث في أيام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (١٠١٦م) فرممت في خلافة ولده الظاهر لإعزاز دين الله (١٠٢٢م) ويقال إنه شيد قبة جديدة.

ولما استولى الصليبيون على بيت المقدس (١٠٩٩م)، حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة، وبنوا بداخلها مذبحًا وكانوا يسمونها هيكل السيد العظيم، كما أنهم أقاموا الحاجز المصنوع من الحديد المشبك، وهو الذي يفصل الصخرة عن المسجد، وكان القساوسة في باديء الأمر يقطعون من الصخرة قطعًا يحملونها إلى بلادهم، فيبيعونها بوزنها ذهبا وقد أدى هذا العمل البغيض إلى كسوة الصخرة الكبرى بالرخام.

وتناول الإدريسي وصف القبة في كتابه في عام ١١٥٤م. والمعروف أن هذا العلامة لم يزر البلاد المقدسة، ولذلك فإنه نقل ما كتبه عن مراجع أخرى.

ثم يقابلنا وصف علي النهروي الذي زار القدس عام ١١٧٣م قبل أن يستعيدها صلاح الدين من الصليبيين ويعتبر هذا الوصف جيدًا[٨٢]

وما كاد ينتهي صلاح الدين من ظفره في معركة حطين على الصليبيين (١١٨٧م)، حتى راح يفكر في الاستيلاء على بيت المقدس وقد تم ذلك في يوم الجمعة ١٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ - ٢ أكتوبر ١١٨٧م وبعد أن شرع في تنظيم شئون المدينة المقدسة، ذهب العاهل العظيم إلى مسجدي الصخرة والأقصى، وأزال ما

(٨٢) جاي لوسترانج: طبعة بيروت، ص ١٣٢ - ١٣٣

بهما من الآثـار النصرانية، فرفع عن الصخرة المذبح، ومحا الصور والتماثيـل، كمـا رفع الرخام الـذي وضعه الصليبيـون، وزين القبة من الداخل بالنقوش الجميلة، وقد أشـير إلـى ذلك في الكتابة التي نقشت آنذاك في داخل القبة.

وقد اعتنى الملوك الأيوبيون بعد وفاة صلاح الدين بقبة الصخرة، فكانوا يكنسـونها بأيديهم، ويغسلونها بماء الورد، والمعروف أن الحاجـز الخشـبي الـذي يحيط بالصخرة نفسـها من صنـع الملك العزيز عثمان.

وقبـل أن ننتهي من الكلام عن أعمـال الأيوبيين في القبة، جدير بنا أن نسجل تلك الكتابة التي أمر صلاح الدين بنقشها بالإفريز في أسفل القبة الداخلية وهذا نصها:

«بسـم الله الرحمـن الرحيـم، أمـر بتجديـد تذهيب هـذه القبة الشـريفة مولانا السـلطان الملك الناصر العالم العادل صلاح الدين يوسـف بن أيوب، تغمده الله برحمته، وذلك في شـهور سـنة سـت وثمانين وخمس مئة».

عصر المماليك:

وقـد اعتنـى كثير من ملـوك هذه الأسـرة العتيـدة التي حكمت مصـر والشـام فترة طويلة بقبـة الصخرة، من هـؤلاء الملك الظاهر بيبـرس (١٢٧٠م)، والملـك العادل زين الديـن كتبغا المنصوري (١٢٩٤م)، والملـك الناصر محمد بن قـلاوون (١٣١٨م)، وقد نقش اسـمه في أسـفل رقبة القبة من الداخل والملك الظاهر برقوق (١٣٨٧م)، والملـك الأشـرف برسـباي (١٤٣٢م)، والملـك

الأشـرف قايتباي (١٤٦٧م) الذي كان له الفضل في صنع الأبواب النحاسية.

وفيمـا يلي نص ما نقش مـن الكتابة في جزء من أفريز القبة على أيام الناصر محمد بن قلاوون:

«أمـر بتجديد وتذهيب هـذه القبة مع القبـة القوقانية برصاصها مولانـا ظل الله في أرضه القائم بسـنته وفرضه، السـلطان محمد بن الملك المنصور الشـهيد قلاوون، تغمده الله برحمته في سـنة ثمان عشرة وسبع مئة».

ولما وصـل ابن بطوطة في رحلته الأولـى (١٣٢٥ - ١٣٤٩م) إلى القدس؛ وصف القبة باختصار لا يستحق الذكر.

وقد وصف تاج الدين أحمد بن أمين الملك الحرم المقدسي وقبة الصخـرة عـام ٧٤٣هـ- ١٣٤٢م، ونقل ابن فضـل الله العمري هذا الوصف الشـامل فـي كتابه المعروف (مسـالك الأبصار في ممالك الأمصار) قال:

الصخرة الشـريفة: أما البناء المبارك من وجه الصحن المفروش بالبلاط المصقول، فارتفاعه ثمانية عشـر ذراعًا، يعلو ذلك كرسـي القبة، وارتفاعه عشـرة أذرع وربـع ودوره مئة وثلاثة أذرع وثلثا ذراع في دوره سـت عشـرة طاقة زجاج مذهبة، بظاهرها شـبابيك، وهي مثمنة الأركان كل تثمينة تسـعة وعشـرون ذراعًا وثلثا ذراع والبناء من ظاهر مكسو منه ارتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجر ومن أعلاه سـبعة أذرع إلى الميازيب بالفص المذهب المشجر المختلف (الفسيفسـاء) وتحتـوي كل تثمينة على سـبع طاقـات: اثنتان في

الطرفين مسدودتان، والخمسة مركب عليها الزجاج، ومن ظاهرها الشبابيك الحديد ومن أعلى الميازيب حائط ارتفاعه أربعة أذرع، مكسو بالفص بالصفة المذكورة، مشخص في كل تثمينة منه ثلاثة عشر محرابًا ولها أبواب أربعة: فالقبلي ارتفاعه ستة أذرع وربع، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف، وثمن وأمامه من خارج رواق مفروش بالرخام الأبيض المشجر طوله من الشرق للغرب إحدى وعشرون ذراعًا ونصف وعرضه أربعة، سقفه بسط مدهون والوسط أمام الباب قنطرة بالفص المذهب، محمول على ثمانية أعمدة من الرخام.. ويعلق على الباب المذكور مصراعان من الأبواب ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش، وعلى يمنة الداخل ويسرته درابزين خشب ارتفاع ثلثي ذراع، في رءوس التثمينة الأولى خاصة ويقاس من عتبة هذا الباب من داخل إلى وجه الأعمدة الآتي ذكرها ثمانية أذرع وثلثا ذراع، بأعلاها سقف بسط مدهون بأنواع الدهان، ارتفاعه خمسة عشر ذراعًا، محمول على حائط الصخرة والعمد، والحائط من باطن التثمينة، ملبس جميعه بالرخام بغير فص...

كل تثمينة من هذا السقف على ساريتين (كتفين) ملبسة بالرخام المشجر الملون البديع، دور كل سارية أحد عشر ذراعًا وثلثا ذراع وطولها ثمانية أذرع وثلثا ذراع، وجهها الذي يلي الصخرة بقرنتين أمر عام ومع السارية عمودان: أحدهما (شحم ولحم) والآخر (أخضر مرسيني) بين كل عمود لأخيه خمسة أذرع ودوره ذراعان وثلث ذراع وارتفاعه خارجًا عن القواعد ستة ونصف يعلوها (بساتل) ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش المذهب فوق

نقشة، يعلو (البساتل)قناطر بالفص المذهب البديع.

بهذه التثمينة الأولى، ثمانية سوار وستة عشر عمودًا: منها أبيض وأزرق عشرة، وأخضر مرسيني ثلاثة، وشحم ولحم ثلاثة.

وصف السقف: من واجهة قواعد هذه العمد عشرة أذرع بتثمينه ثانية عليها سقف (مقالي) مذهب، ارتفاعه ارتفاع السقف الأول (ومقاليه) مركبة بغير تسمير وبآخر هذه التثمينة الدائرة الدرابزين المحيط بدور القبة والحامل للقبة أربعة سوار مربعة ملبسة بالرخام مثل الأولى بين كل سارية وسارية ثلاثة أعمدة من الرخام الشحم واللحم، والأخضر المرسيني ويعلو ذلك قناطر من الوجهين: فص مذهب، والباطن رخام أبيض وأسود حملة العمد الحاملة للقبة اثنا عشر عمودًا: منها أخضر مرسيني سبعة، وشحم ولحم خمسة.

قال: ولقد قست عمودًا منها (شحمًا ولحمًا) فكان دوره ثلاثة أذرع ونصف وارتفاعه خارجًا عن القواعد سبعة أذرع وثلثي ذراع.

ارتفاع القبة: وارتفاع هذه القبة الخشب المذهبة من قطبها إلى ظاهر الصخرة الشريفة سبعة وأربعون ذراعًا، ومن ظهر الصخرة لباطن أرض المغارة ستة أذرع، ومن ظاهر القبة الخشب إلى القبة الثانية المكسوة بالرصاص ذراع ونصف.

قال: ولقد قست الدور (الرقبة) الحامل للقبة بالأعمدة والسواري فكان مئة وثلاثة أذرع.

صفة الشباك وأبوابه: وصفة الشباك الحديد الذي بين هذه العمد والسواري، له أربعة أبواب: الشمالي منها مغلق، والثلاثة مفتوحة فأما القبلي فيصعد إليه درجتين ومن حد عتبته من داخل إلى صدر

الصخرة أربعة أذرع ونصف وربع وحجر الصخرة من هذه الجهة ملبس بالرخام الملون ارتفاع ذراعين ويحيط بحجر الصخرة من تتمة أقطاره درابزين من الخشب المنقوش، دوره أربعة وسبعون ذراعًا وبآخر هذه الصخرة المرخمة من غرب إلى جهة الشمال حجر صغير محمول على ستة أعمدة صغار قيل أنه أثر قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج وقبالة القدم المشار إليه مرآة من السبعة معادن يسمونها (درقة حمزة) محمولة على ثلاثة أعمدة لطاف: منهن اثنان (روحان في جسد) وارتفاع الشباك الحديد أربعة أذرع وثلثا ذراع، تعلوه شرفة خشب مدهونة وبأعلى الشرفة شمعدانات حديد.

المحراب والمغارة: والمحراب الذي يصلى فيه أمام الصخرة عن يمين الداخل من الباب القبلي داخل الدرابزين الخشب المقدم الذكر، وتجاه المحراب باب مغارة للصخرة الشريفة معقود قنطرة بالرخام الغريب، على عمودين (شمعية) ينزل إلى باطنها بأربع عشرة درجة وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام وبباطن المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار كل محراب على عمودي رخام لطاف وأمام المحراب الأيمن صُفّة تسمى (مقام الخضر) طولها من الشرق للغرب ذراع وثلثا ذراع، ومن القبلة للشمال ذراعان وربع يواجهها عمود رخام قائم للسقف، وعمود راقد مرد لها وبالركن الشمالي من المغارة صفة نقر في الصخرة يسمونها (مقام الخليل) عمقها من القبلة للشمال ذراع ونصف، ومن الشرق للغرب ذراع وربع.

الباب الشـــرقي للصخرة : هما بابـــان : أحدهما داخل الآخر جعل البـــاب الخـــارج وقايـــة للداخل من الأمطـــار والثلوج ملبـــس بالرخام رحـــاب مـــا بين البابين عـــرض أربعة أذرع وربع ، وطـــول خرجته اثنا عشر ذراعًا ونصف .

على يمنـــة الخارج بيت للبواب وبه محـــراب محمول على ثلاثة أعمدة لطاف ، وعلى يسرته بيت للقناديل محمول على أربعة أعمدة خضر مرســـيني وزرق ، وعقد ما بين البابيـــن بالفص المذهب ، ومن عتبـــة الباب الثاني منهما إلى العمد ســـبعة أذرع وثلثان وهو الحامل للسقف البسط .

ومـــن واجهة العمد للشـــباك الحديد أحد عشـــر ذراعًا ومن باطن الشـــباك الحديد إلى الدرابزين الخشب الســـاتر للصخرة أربعة أذرع وربع ومن حد هذا الباب الشرقي على يسرة الداخل منه طالبا للقبلة على مســـافة تســـعة أذرع ، عمودان مرسيني أخضر بأعلاهما دقيسي مذهب يطلع من باطنه إلى ظهر سقف الصخرة والقبة .

الباب الشمالي : ويســـمى باب الجنة ، له خرجة كالتي في الباب الشـــرقي وصفتهـــا وحليها وفيما بيـــن العمودين اللذيـــن أمام الباب - داخـــل درابزيـــن خشـــب مذهب به محـــراب لطيف - إشـــارة على الرخامة السوداء التي يصلي الناس عندها ، وفقدت هذه الرخامة من مـــدة زمانية ، وعمل مكانها رخامة خضـــراء والناس يصلون ويدعون عندها .

الباب الغربي : له خرجة كالبابين الشـــرقي والشـــمالي ، وسعة ما بين تتمين الصخرة من داخل مثل الباب الشـــمالي ، خلا الســـعة من الشـــباك الحديد لدرابزين الصخرة فإنه ستة أذرع وثلثا ذراع . انتهى ما ذكره تاج الدين أحمد .

في أيام العثمانيين:

ويأتي في طليعة سلاطين آل عثمان، ممن عنوا بقبة الصخرة عناية ملحوظة، وقد بقي أثرها إلى الأعوام الأخيرة، السلطان سليمان القانوني (١٥٤٢م)، فإليه ترجع كسوة الجدران من الخارج وكسوة قبة السلسلة بالرخام والقاشاني، ومن آثاره أيضًا النوافذ المصنوعة من الفسيفساء الجميلة، كما أنه عَمَّر الباب الشمالي المعروف بباب الجنة.

ونذكر أيضًا السلطان محمود (١٨١٧م)، والسلطان عبدالحميد (١٨٥٣م)، والسلطان عبدالعزيز (١٨٧٤م)، والسلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦م).

ومع تقادم العهد، طرأ على القبة وعلى بعض الجدران خلل كما تسربت مياه الأمطار إليها فاهتم المجلس الإسلامي الأعلى الذي كان يرأسه الحاج أمين الحسيني بالأمر، ورممه (١٩٣٨م) ترميمًا مؤقتا حال دون وقوع خطر شديد.

محراب زكريا

وقد كتبت على جدار هذا المحراب الآية الكريمة الآتية:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ (مريم: ٤، ٥)

ويوجد بداخل الحرم تحت صحن الصخرة تسع خلاوٍ: إحداها جعلت حاصلا لأصناف الحرم، فمنها بالجهة القبلية ثلاثٌ، وبالجهة الشرقية من تحت صحن الصخرة أربع، وبالجهة الغربية خلوتان.

قبة الصخرة

يتألــف مبنــى قبــة الصخرة المقدســة مــن بناء مثمــن الأضلاع، أربعــة أضلاع منها تواجه الاتجاهــات الأصلية وبها المداخل الأربعة ويقدر طول كل ضلع بحوالي ٦٦ قدما و٧ بوصات وهو مقســم إلي تجويفــات معقودة، في كل ضلع ســبعة منها، والخمســة الوســطى بها منافذ ويكســو الجزء الســفلي من الأضلاع ألواح من الرخام أما الجزء العلوي الذي يمتد من عتبات النوافذ إلى أعلى، فمغطى بقطع (لوحات) القاشاني ذات الرسوم الإيرانية وقد أمر بصنعها السلطان سليمان القانوني عام ١٥٦١م، وقد نقشت آيات القرآن في حروف عربية جميلة ومحلاة بالزخارف حول الجدران الخارجية.

أما الأبواب فمســتطيلة الشكل، يعلو كل منها عقد جميل وكان أمــام كل باب ســقيفة تحملها أربعــة عمد أما المدخــل الغربي فهو مبنى اســتحدث في القرن التاســع عشــر، ويســمى الباب الشمالي بباب الجنة والذي في الغرب يسمى الباب الغربي، والباب الجنوبي بباب القبلة، والباب الشرقي باب داود أو باب السلسلة.

ويقــدر قطــر المثمن الثانــي لقبة الصخــرة ٥٣ متــرًا، ويحتوي علــى ثمانيــة دعائم تقوم فــي أركانه ويفصلها عــن بعضها عمودان (مجموعهــا ١٦ عمــودا)، يحمــلان ثلاثــة عقود وهــذه العمد من الرخــام الجميل (كل عمــود قطعة واحــدة) وكل منها يختلف عن الآخر في الشكل والعلو واللون وتختلف كذلك أشكال تيجانها وقد استطاع المهندس أن يجعل ارتفاعها كلها واحدًا بإضافة كتل كبيرة

تحمـل فوقها الأقـواس بطريقة محكمة ويعلو هـذه الدعائم والعمد عقود زينت بطنياتها وتواشيحها بأنواع من الفسيفساء ذات الرسوم النباتيـة المختلفة بألوان متجانسـة ومذهبة تميل في مجموعها إلى الزرقة وبين العقود وبعضها أوتاد خشـبية مكسوة بالبرونز بنقوش كلاسـيكية مذهبـة وهـذا المثمن الثانـي يفصل الرواقين الأوسـط والخـارج ويغطي هذيـن الرواقين جمالون من الخشـب عليه ألواح من الرصاص مـن الخارج، ومبطن من الداخل بألواح خشـبية عليها نقـوش مختلفة ويلي المثمـن (التثمينة) الثاني، إيوان، يحده أربعة دعائم ضخمة واثني عشـر عمودًا من الرخام، وقد كسيت قواعدها بالرخام في القرن السـادس عشر وترتكز العقود مباشرة على رءوس العمد، ومن فوقها تقوم رقبة القبة وهي مزينة بالفسيفسـاء الجميلة أما جزؤها العلوي فيشتمل على ١٦ نافذة وقيل إن هذه الفسيفساء صنعها فنانون بيزنطيون فيما بين القرنين ١٠ - ١١.

وقـد وصلتنا هذه الفسيفسـاء فـي مكانها وقوامها فـروع نباتية بألوان متجانسة تميل إلى زرقة هادئة غاية في الجمال والرونق.

وهكذا نشاهد في وسط مبنى قبة الصخرة، ما يشبه أسطوانة يقدر ارتفاعها بضعف قطرها، وسنعبر عنها بالدائرة الداخلية، ويعلو هذه الدائرة قبة مزدوجة من الخشب فوق الرقبة المستديرة[٨٣] أما القبة الخارجية فمصفحة بألواح من الرصاص، والداخلية مكسـوة بنقوش مذهبـة، يبلغ قطرها ٢٠,٤٤ مترًا، وارتفاعها عن سـطح الأرض٣٥

---

(٨٣) شاهـد ابن الفقيه القبة الأصلية عام ٩٠٣م وقـال عنها إنها عبارة عن قبة فوق أخرى غطيت بألواح الرصاص والنحاس المذهب «عن العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٦٧»

متـرًا، ما عـدا ارتفاع الهلال وقدره أربعة أمتـار ونصف المتر وهناك درج يصل إلى الهلال بين القبتين.

وقد وصف المعماري ريتشـموند[٨٤] هـذه القبة وصفًا دقيقًا في كتابه القيم، فليرجع إليه من أراد التفصيلات.

ولم يصل إلينا اسـم المعماري الذي شـيد قبـة الصخرة، وليس هناك شـك في أن اسـمي رجاء بـن حيوة الكندي، ويزيد بن سـلام كانت أعمالها مقصورة على الإشراف الإداري والمالي فقط، ويؤيد هـذا ما ذكره أبو المعالي المشـرف (القـرن ١٣) حينما تكلم عن الخزانة التي شيدت في شرق القبة وكان يعمل فيها هذان الرجلان.

---

(٨٤) Richmond; the Dome of the Rock

فسيفساء القبة

كانت الفسيفساء تغطي الجدران الخارجية في قبة الصخرة، ولكن لم يبق شيء من هذه الفسيفساء أما الذي لا يزال باقيا إلى اليوم فالفسيفساء التي تكسو بعض الأجزاء الداخلية ولا ريب في أن قسما كبيرًا من هذه الفسيفساء المحفوظة يرجع إلى سنة ٦٩١م كما تشهد بذلك كتابة بالخط الكوفي من الفسيفساء المذهبة على أرضية زرقاء وتقع في أعلى التثمينة الداخلية بجوار السقف وتضم هذه الكتابة آيات قرآنية، جاء في نهايتها النص التاريخي الذي كان يشتمل على اسم عبد الملك بن مروان، ولكنه حذف وكتب اسم المأمون عوضًا عنه.

ومن الأجزاء الأخرى التي تغطيها الفسيفساء في قبة الصخرة المنطقة العليا من التثمينة الدائرة، أي الداخلية، وتشمل الجزء العلوي من الأساطين أو الأكتاف الأربعة، ثم كوشات العقود، ومن تلك الأجزاء القبة أو رقبتها، وقد حدث في بعض أجزاء الفسيفساء بقبة الصخرة ترميم وإصلاح في عصري الفاطميين والمماليك وكذلك في العصر الحديث، وقد روعي في عملية الإصلاح، المحافظة على جوهر الرسوم القديمة.

والموضوعات الزخرفية التي نراها في فسيفساء قبة الصخرة كثيرة جدًا ومن بينها فروع نباتية متصلة وحلزونية تخرج من آنية، ويقع بين كل فرعين خارجين من إناء موضوع زخرفي وأشجار أخرى تذكر بما نعرفه في فسيفساء بعض الكنائس المسيحية في القرن السادس الميلادي ومن بينها أيضًا رسوم الفاكهة ولاسيما العنب والرمان ثم رسوم أوراق الشجر المختلفة وورق الأكانتس وباقات

الزهور ورسوم الجواهر والحلي المختلفة بالرسوم النباتية، فضلا عن رسوم الأهلة والنجوم ومعظم هذه الموضوعات الزخرفية معروفة في زخارف الفسيفساء الرومانية المسيحية ومستمدة من الطرازين الساساني والهلنستي والواقع أننا نرى في زخارف الفسيفساء بقبة الصخرة التقاء عناصر فنية مختلفة، نعرفها في الأساليب الفنية الإغريقية والرومانية، ولكنها في هذا الأثر العظيم مختلطة بعناصر فنية أخرى شرقية المصدر، وتميزها عن سائر الفسيفساء الإغريقية والرومانية والمسيحية[٨٥].

وفي البحث القيم الذي قامت به الآنسة مرجريت فان برشم عن فسيفساء قبة الصخرة، ذكرت أنها من صنع عمال سوريين بوجه عام وليست من صنع عمال بيزنطيين، وأنه من المحتمل أن يكون بعض الصناع من مواطن مختلفة قد أسهموا مع الصناع السوريين وأن ذلك قد يفسر وجود بعض العناصر الساسانية في زخارف هذه الفسيفساء ولكننا نلاحظ أن اشتراك عمال من إيران ليس لازمًا لتفسير الموضوعات الزخرفية الساسانية، لأن معظم هذه الموضوعات كان قد انتقل إلى الشام وأقبل الصناع السوريون على استعماله وفي عملية إصلاح القبة الحديثة، كان الاهتمام بإعمار الفسيفساء اهتمامًا زائدًا نظرًا لقيمتها الأثرية العالية فقد درست العملية دراسة فنية وافية ووجدت أجزاء كثيرة من فسيفساء الجزء العلوي برقبة القبة ساقطة، وبعضها منفصل في أماكن التصاقه بالجدران، وذلك بسبب تسرب مياه الأمطار والرطوبة إليها، مما استدعت عمل

---

(٨٥) زكي محمد حسن - فنون الإسلام - ط القاهرة: ص٣٤٣ - ٦٤٧ انظر أيضا أطلس الفن الإسلامي ص ٥٦٠ - ٥٦١ للمؤلف نفسه.

فسيفساء جديدة للأجزاء التي سقطت مع ترميم وإعمار الأجزاء الأخرى المنفصلة عن الجدران واستكمال الأجزاء الناقصة.

ويعلو الفسيفساء فوق رقبة القبة إطار عريض أزرق اللون، نقشت عليه آيات من القرآن الكريم بأحرف ذهبية وفيما يلي نصها:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾

(الإسراء: ١١١)

﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الحديد: ٢)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

(النساء: ١٧٠)

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

(مريم: ٣٤-٣٦)

قاشاني القبة

إن أعمـال القاشـاني في مبنى مسـجد قبة الصخـرة من الأعمال الفنيـة المهمـة، إذ إن رقبـة القبة من الخـارج والواجهـات الثماني للمبنى مكسوة بالقاشاني ذي الألوان والزخارف المتعددة فضلًا عن أن سورة الإسـراء مكتوبة بالقاشاني حول رقبة القبة بالجزء العلوى فوق الشـبابيك. وسـورة يـس مكتوبـة بخط جميل وسـط الإفريز العلـوى من واجهـات المثمن. لذلك عملت رسـومات ومخططات كثيرة كما كان عليه القاشاني قبل عملية الإصلاح الأخيرة (١٩٥٨ - ١٩٦٤م)، وأخذت صورة عادية وملونة لجميع أجزاء القاشـاني، ثم عملت رسـومات كاملة لها، وصورت قبل الإعمار وأثناء الإعمار وبعد الإعمار، لذلك تم فك القاشـاني القديم الذي كان يكسو رقبة القبـة وفـرز الصالح منـه، وأعيد تركيبـه، ثم ركب قاشـاني جديد مماثل لبقية أجزاء الواجهات الخارجية.

إعمار قبة الصخرة في العصر الحديث

حالت حرب فلسطين بين العرب واليهود إثر صدور قرار التقسيم في عام ١٩٤٧ دون اتخاذ أية خطوة في سبيل تعمير قبة الصخرة، والمعروف أن هذه القبة الشريفة والقباب الأخرى الكائنة في أرض الحرم لم تسلم من أذى اليهود، وكثيرًا ما سقطت قنابل الهاون على سطح المسجد وفي جنباته وفنائه. ومن ذلك ما جرى في ١٦ يوليو ١٩٤٨، إذ صوبوا نيرانهم الشديدة وسقطت ستون قنبلة أصابت أحد قنابلهم مسجد الصخرة، ثم أعادوا الكرة عدة مرات، وكانت أشد غاراتهم تلك التي وقعت في ٢٣ أيلول، وفي ٢٧ منه، فأصيب في الأولى عدد كبير من نوافذ القبة في الناحية الغربية إلى الشمال وتحطمت ألواح الزجاج القديمة ذات الألوان التاريخية وقد توالت الإصابات بعد ذلك.

ولم يتمكن القائمون على الأمر في المملكة الأردنية بسبب حالة الحرب من عمل أي شيء لتعمير الصخرة خلال السنين الأولى التي انقضت بعد وقف القتال وعقد الهدنة في رودس عام ١٩٤٩ - اللهم إلا ست وسبعين صفيحة من الرصاص وضعت على قبة الصخرة بدلًا من الصفائح القديمة البالية، وكان ذلك في مطلع عام ١٩٥٢. وبعد ذلك التاريخ رأى ولاة الأمور أن العطب قد ازداد، وأنه لابد من العمل على تقوية القبة وتعمير ما لابد من تعميره من المسجد. وكانت الفسيفساء التي تغطي القبة من الداخل أخذت تتساقط ولاسيما في الناحية الشمالية الغربية من القبة، وانفصلت أجزاء أخرى منها في أمكنة أخرى. فكان هذا بمثابة إنذار لولاة الأمور. إذ خشوا أن تكون

القبة كلها قد أصبحت على وشك الانهيار.

فطلبت الحكومة الأردنية من الحكومة المصرية في ٨ آيار ١٩٥٢ أن تنتدب خبراء فنيين في الآثار الإسلامية لفحص ما أصاب مبنى الصخرة من تلف. فاختير ثلاثة من أقدر المهندسين للقيام بهذه المهمة، وهم المهندس حسين الشافعي كبير مفتشي البحوث ومباني المشروعات الجامعية بمصلحة المباني بوزارة الشئون البلدية، والمهندس محمد عباس بدر كبير المهندسين بمصلحة الآثار، والمهندس كامل صلاح الدين الكيلاني. وجاء هؤلاء المهندسون إلى القدس فقضوا أسبوعا في دراسة القبة والمبنى كله ثم عادوا إلى مصر حيث أعدوا تقريرًا فنيًا وأرسلوه في ٤ آذار عام ١٩٥٣ إلى حكومة الأردن ومما جاء في هذا التقرير:

١- يجب الشروع في ترميم القبة بوجه السرعة.

٢- استبدال الخُشب التي يتكون منها السقف والرواقين الأوسط والخارجي.

٣- استبدال إفريز القبة من الخارج بآخر من الخرسانة المسلحة على أن يربط بالهيكل المعدني المقترح صنع القبة منه وهذا أيضًا يجب أن يكسى بالنحاس.

٤- استبدال الكانات الحديدية التي تحمل ألواح الرخام.

٥- إعادة تعمير القاشاني الملصق على الجدران.

٦- إعادة عمل الأجزاء التالفة من الفسيفساء.

٧- إزالة المداخل الأربعة التي أضيفت إلى المسجد في العصور الأخيرة وأن يعاد إنشاؤها بشكل يطابق الأصل. ولا يحجب جزءًا

من المسجد.

٨- استبدال الشبابيك التالفة بأخرى مطابقة للأصل.

٩- تثبيت الترابيع الرخامية التي تكسو أرض المسجد.

١٠- إصلاح ميازيب المياه التالفة.

١١- عمل طبقة عازلة لأساسات الجدران وثقوب تهوية للمباني في الارتفاعات وغير ذلك من أعمال الترميم. وقد اقترح الخبراء المصريون تعمير المباني الأخرى القائمة في أرض الحرم: كقبة السلسة وقبة المعراج وقبة النبي وغيرها من القباب. كما اقترحوا نقل قبة السلسلة من موضعها الحالي إلى موضع يقع في المركز الشمالي الشرقي من الحرم واقترحوا إزالة المساطب والغرف والمنشآت المستحدثة التي ليست لها قيمة أثرية. كما رأوا استحداث طريقة جديدة لإنارة المسجد بالكهرباء تظهر للمشاهد روعة تكوينه ورونق فسيفسائه وتناسق ألوانه...

وقدر الخبراء النفقات اللازمة للتعمير والترميم بحوالي ٤٢٠ ألف دينار أردني. وأهابوا بالأمم الإسلامية النهوض متكاتفين لجمع هذا القدر من المال مرددين:

﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾

وفي ٢٢ شباط ١٩٥٤ قرر مجلس الوزراء الأردني تأليف وفد لزيارة الأقطار الإسلامية وجمع التبرعات اللازمة لتعمير المسجدين: المسجد الأقصى ومسجد الصخرة. ولكي تتمكن الحكومة من استعمال المبالغ التي ستجمع، سنت قانونًا أسمته قانون إعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة لسنة ١٩٥٤، خولت

فيــه مجلس الــوزراء حق تعيين لجنــة لإعمار المســجدين. فتألفت اللجنة برياســة الشــيخ محمد أمين الحســيني ومعــه أربعة أعضاء. وعقدت جلســاتها عدة مرات ثم اجتمعت باللجنة المصرية الفنية. وقدمــت هذه اللجنة تقريرًا فنيًا ثانيًــا فأقرته اللجنة الأردنية بكامل نصوصه ورجحته على تقارير أخرى وضعها الخبراء الأجانب. وقدر المهندســون المصريون تكاليف العمارة في تقريرهم الثاني بنصف مليــون دينار ذلك لأن التلف كان قد ازداد بعد اليوم الذي أجروا فيه فحصهم الأول. وقدموا تقريرًا مفصلًا بما يجب عمله.

ثم تشــكل مكتب معماري من هيئتين: إحداهمــا، الهيئة العليا وقد تألفت من المهندســين: حسين الشــافعي، ومحمد عباس بدر، وكامــل صــلاح الدين الكيلانــي. والثانيــة: الهيئــة التنفيذية وهي مؤلفة من الســادة المهندســين: المهندس صالح أحمد الشــواربي والمهندس عبد المنعم عبدالوهاب، والرســام أحمد غالب والرسام محمد صبحي محمد يوســف، والرســام رفعت أحمد ســري الدين، وغيرهــم مــن الملاحظين والخطاطيــن والمصورين للمســاعدة في البحوث المختلفة.

وقد رؤى الشــروع في عملية التعميــر على مراحل، على أن يبدأ المهندســون فــي تعميــر الأهم فالمهــم. وكلما حصلــوا على مبلغ جديد انتقلوا إلى المرحلة التالية من البنود المتقررة.

مناقصة عالمية:

وفي اليوم العشرين من – شباط – فبراير ١٩٥٨ طرحت اللجنة – الأعمــال التي قررت القيــام بها في مناقصــة عالمية وحدد صباح

الأربعـاء (٢١ مايو ١٩٥٨) للنظر في الطلبات التي سـتقدم إليها . وذكرت أن على الشـخص الذي سـيعهد إليه بالعمـل أن يتم العمل المطلـوب منه في أثنـاء مدة أقصاها أربعون شـهرًا من تاريخ صدور الأمر .

وقبـل أن ننتقل لذكر الهيئة التي عهـد إليها عمليات الإصلاح ، يجدر بنا أن نوضح مدى اهتمام الأمم الإسـلامية بالتبرع للمشروع . فقـد تبرعـت الجمهوريـة العربيـة المتحـدة بنفقـات المكتـب المعماري الهندسـي ، حيـث قدرت تكاليفه بمبلـغ ٩٢٠٠٠ دينار أردنـي . وتبـرع المغفـور له الملك محمـد الخامس ملـك المغرب بسـجاد لفرش مسجد الصخرة المشرفة وقدر ثمنه بخمسة وثلاثين ألـف دينار أردنـي (١٢٣ قطعة بأحجام مختلفـة) . وتبرعت تركيا بإعداد القاشـاني اللازم ، وبدأ إعـداد النماذج المطلوبة في كوتاهية المشهورة بهذه الصناعة .

وفيما يلي تفصيل لتبرعات الدول الإسلامية الأخرى :

١- المملكة الأردنية الهاشـمية ١٠٠٠٠ دينـار متبرعون منها ٢٤٢٣٧ .

٢- الملك سعود ٢٥٧٠٠٠ متبرعون منها ١٧٧٥٩ .

٣- الجمهورية العراقية ٧٢٩٦٥ .

٤- الكويت ٧٠٠٠٠ متبرعون منها ٣٠٨٨ دينارًا .

٥- أمير قطر ٣٠٠٠٠ متبرعون منها ٢٠٠٥ .

٦- الأمير شخبوط ٢٠٠٠٠ .

٧- باكستان ٧٥٠٠ .

٨- إيران ٥٠٠٠ .

٩- إمارة البحرين ٢٠٠٠ .

١٠- لبنان ٢٠٠٠ .

١١- نيجيريا ١١٠٠ .

١٢- أفغانستان ٣٥٧ .

١٣- بعثة الحج الصينية ٥٠ .

١٤- وزير العدل التونسي ٤١ .

ويمكــن القــول بأن قيمــة التبرعات حتى عــام ١٩٦٣ قد بلغت حوالى ٥٢٥٥٥٤ دينارًا .

وكان مقــدرًا للمصروفات حوالي ٥١٦٢٤٩٧٦٤ دينارًا يضاف إليها ســلفات ســابقة لأعمال كانت قد تمت من قبل ، فكان العجز المطلــوب توفيــره حوالي ٢٥٠٩٣٣ . وعلى ذلك فقــد رؤى القيام بأعمال الإصلاحــات المطلوبة الأخرى حينمــا يتوافر المال . وأهم هذه الأعمال :

١- تنسيق صحن الصخرة المشرفة وإصلاح المباني به ، وتدابير الوقاية من الحريق .

٢- إعداد المتحف الإسلامي .

٣- مصاريف احتياطية غير منظورة ومصاريف إدارية .

وتقدر المبالغ المطلوبة لهذه الأعمال بحوالى ٢٥٠٩٣٣ دينارًا .

احتفال ملوك ورؤساء الدول الإسلامية بإعمار قبة الصخرة

وفي ٦ أغسطس ١٩٦٤م احتفل الأردن بانتهاء المرحلة الأولى من عمليات الإعمار، وأبرزها إبدال القبة الرصاصية بقبة مذهبة وتجديد القاشاني الخارجي وكسوته الداخلية من الفسيفساء والجص المزدانة بأروع ما عرف من النقوش العربية، وعلى إنارة المسجد إنارة آلية داخلية وخارجية لتظهر روعة هذا المسجد الشريف.

وقد حضر هذا الاحتفال المهيب جلالة الحسين ملك الأردن، ومندوب رئيس مجلس الرئاسة السوري، وممثل المغرب الحاج أحمد بركاش وزير الأوقاف، وممثل ليبيا الشيخ عبد الرحمن القلهوت وزير العدل الليبي، والسفير موديبو يالو ممثل مالي، وممثل الكويت السيد خالد الجسار وزير الأوقاف.

والسيد شاهين حامد نائب وزير التغذية في الهند ممثلًا لرئيس جمهورية الهند، وممثلان لجلالة الملك السعودي، وممثل باكستان السيد أبو طالب مصطفى وزير المعارف، والسيد خليفة عباس ممثل الرئيس السوداني، والسيد المهندس أحمد الشرباصي وزير الأوقاف نائبًا عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة. والسيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية، والسيد أحمد بللو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية، والسيد أمين بيهم وزير المالية اللبنانية ممثل رئيس

جمهوريــة لبنان، والســيد توفيــق المدني وزير الأوقــاف الجزائري ممثل الجزائر. وقد اشــترك في هذا الحفل العظيم كل من: الســيد أحمد المهدي أحد علماء الإسلام في السودان.

وممــا يذكر أن مجلــس الــوزراء الأردني وافق على إصــدار طابع تذكاري لتخليد مناســبة الاحتفال بانتهاء المرحلة الأولى من إعمار الصخرة المشرفة، وكان ذلك في اليوم السابق للاحتفال الكبير[٨٦].

(٨٦) صحيفة الجهاد الأردنية التي تصدر في القدس، العدد رقم ٣٣٩٤ في ٦ أغسطس سنة ١٩٦٤.

روعة قبة الصخرة

هـذه هي قبـة الصخرة، أروع وأجمـل الآثار العربية والإسـلامية وأبدعهـا عمارة وتنسـيقًا، لها مكانتها الممتازة فـي تاريخ العمارة والفنـون الإسـلامية. فهـي فضلًا عن كونهـا أثرًا من آثـار الأقدمين نعتـز به، يدلّ على ما كان عليه فن العمارة فـي أيام الدولة العربية، فقـد بهرتْ كلَّ من شـاهدها من العلماء والبحاثـة والفنانين بروعة بنائها وبهاء نقوشها وفريد تخطيطها، وما احتوته من آيات الفخامة والرونق... فقد تحدث عنها أئمة رجال الفن، فقال عنها هارتمان: إنهـا نموذج من التناسـق والانسـجام. وقال عنها فرجسـون مؤرخ العمارة: إنني لم أكن أتوقع مطلقًا أن أرى مثل هذه العظمة الساحرة، والفتنة الفائقة في هذا البناء، وما زلت أذكر جيدًا كيف كان إعجابي عظيمًـا بـ(تاج محل)، وغيره من المقابر الملكية في مدينتي أجرا ودهلـي وغيرهمـا من مدائن الهنـد. ولكن قبة الصخـرة في نظري تفوقهمـا جميعًـا. وإن ما فيها مـن الدقة وجمال التناسـب الذي لا نظير له، ليفوق كل أثر آخر فيما أعلم».

وقال هايتر لويس: إنها أجمل الآثار التي خلدها التاريخ.

وأما فان برشـم السويسـري فإنه يعلل عظمتهـا وجمالها إلى ما في تصميمها وتخطيطها من بساطة وإلى ما في أجزائها من تناسق.

فـلا غرو إذن أن تكون قبة الصخرة محط دراسـة كثير من علماء العمارة والفنون على مـر العصور، نذكر منهم في العصر الحديث: العلامة كريويد والعالم ريتشـموند، وابنته العالمة السويسـرية فان برشم التي أفردت دراسة خاصة وفريدة لفسيفساء الصخرة.

المسجد الأقصى

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

(الإسراء: ١)

مراحل العمارة:

يمكن القول بأن عمارة هذا المسجد الجليل قد مرت بعدة مراحل تاريخية، نجملها فيما يلي:

أ- ٩٠ - ٩٦هـ (٧٠٩ - ٧١٥م) البناء الأول للوليد بن عبد الملك الأموي.

ب- ١٣٠هـ (٧٤٦ - ٧٤٧م) الزلزال الأول وخراب بعض أجزائه.

جـ- ١٥٤ - ١٦٣هـ (٧٧١ - ٧٨٠م) إعادة البناء على يد الخليفتين العباسيين المنصور والمهدي.

د- حوالي ٣٦٠هـ (٩٨٥م) المقدسي يصف المسجد.

هـ- ٤٢٤هـ (١٠٣٣م) الزلزال الثاني.

و- ٤٢٥ - ٤٢٧هـ (١٠٣٤ - ١٠٣٦م) الخليفة الظاهر يقوم بترميمه.

ز- ٤٣٨هـ (١٠٤٧م) زيارة ناصر خسرو الرحالة الفارسي للمسجد.

ح- ٤٥٨هـ (١٠٦٥م) المستنصر يعيد بناء الواجهة.

ط- ١٠٩٩م - ١١٨٧م الفرسان الداوية (فرسان تنظيم الهيكل) يحتلون المسجد في أثناء الغزو الصليبي وقيامهم ببعض الأبنية.

ي- ٥٨٣هـ (١١٨٧م) صلاح الدين الأيوبي يستعيد المسجد، وترميم المحراب وإصلاح بعض الأجزاء، دُوِّن ذلك نقشًا على المحراب.

ك- ٦١٤هـ (١٢١٧م) ترميم السقيفة على يد الملك المعظم.

ل- ٦٨٦هـ (١٢٨٧م) الملك المنصور سيف الدين قلاوون عمارة سقف المسجد وتجديد القبلة في زمن ابنه (١٣٢٧م).

م- ٧٤٦هـ (١٣٤٥م) بناء الأروقة المقباة الغربية وغيرها بإشراف عز الدين أيبك.

ن- ٧٥١هـ (١٣٥٠م) بناء الأروقة المقباة للسقفية والقبايا المجاورة بداخل المسجد بإشراف عز الدين أيبك.

هـ- ٨٨٤هـ (١٤٧٩م) عمارة الملك الأشرف قايتباي تؤيدها النقوش الكتابية على واجهة المسجد الشمالية.

و- ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) بداية الإصلاحات الشاملة الحديثة.

***

يسمي الإفرنج المسجد الأقصى تسمية خاطئة بجامع عُمر نسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. صحيح أن عمر بَنى مسجدًا في البقعة المباركة بالحرم الشريف، إلا أن مسجده كان يحاذِي السور الشرقي أي شرقي بناء المسجد الأقصى الذي نشاهده اليوم. وكان ذلك المسجد مسقفًا بالأخشاب ويتسع لحوالي ثلاثة آلاف من المصلين. وقد تم بناؤه في العام الثامن عشر أو الحادي والعشرين للهجرة. ولكن آثاره اندثرت عند بناء قبة الصخرة.

تضاربت الأقوال عن اسم باني المسجد الأقصى. ولقد أثبتت الأدلة بأن باني المسجد هو الوليد بن عبد الملك الذي انتهى إليه الحكم عام ٨٦هـ وتوفي عام ٩٦هـ. وهذه الأدلة مثبتة في تحارير

رسمية كتبها قرة بن شريك عامل الأمويين على مصر إلى أحد حكام الصعيد بمصر بين عامي ٩٠ و٩٦هـ، بصدد المسجد الأقصى. وهي مكتوبة على بردية ومحفوظة في المتحف البريطاني بلندن، وتاريخها يدل على أن كاتبها كان معاصرًا للوليد بن عبد الملك. ويتضمن أحد التحارير طلبًا لإرسال صانع ماهر (معلم) للمسجد الذي يبنيه يزيد بن سلام، وهو بلا شك المسجد الأقصى بعينه. وهناك تحرير ثان يرجع تاريخه إلى سنة ٩٠هـ، وثمة تحرير ثالث يحمل التاريخ نفسه، ويذكر من ضمن ما يذكر الصناع والعمال الذين عملوا في بناء مسجد القدس وقصر أمير المؤمنين مع بيان أجورهم ونفقتهم. أضف إلى ذلك ما قاله «العمري» في كتابه (التعريف) عن الوليد حين ذكر ما كان ينقله الوليد من الفسيفساء بالبريد من القسطنطينية إلى دمشق ومنها القدس ومكة المكرمة والمدينة المنورة لِيزينَ بها جدران المساجد في المدن الأربع.

ولقد تم بناء هذا المسجد في عام ٧١٥م.

وقد حدث زلزال سنة ١٣٠هـ (٧٤٧م) أدى إلى تصدع المسجد وكان الحكم قد انتقل إلى العباسيين في أيام أبي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين. فأمر بإعادة بناء المسجد بعد أن زار القدس الشريف وأنفق عليه آلاف الدنانير حتى انتهى العمل في عام ٧٧١م.

وحدث زلزال ثانٍ بعد سنوات فاندثر بسببه ما شيده المنصور، فنهض الخليفة المهدي، وكتب إلى الأمراء وسائر القادة أن يبني كل واحد منهم رواقًا، ففعلوا. وتمت الإصلاحات في أيام المهدي سنة ١٦٣هـ (٧٨٠م).

وفي إثر زلزال آخر، خَرِبَ المسجد في عام ٤٢٥هـ (١٠٣٣م) خرابًا تامًا.. فنهض الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (١٠٣٤م) وأعاد بناءه وأبقى على ما أمكنه إبقاءه من البناء السابق. وكان أهم ما لحق بعمارة الظاهر في المسجد: حذف أربعة أروقة من كل جانب، وبناء القبة الحالية والأبواب الثلاثة الوسطى وأقواس الرواق الكبير، وأركان القبة والأبواب السبعة في شمال المسجد الأقصى. وهناك كتابة منقوشة بالخط الكوفي بالفسيفساء المذهبة على واجهة القوس التي تحمل القبة من الشمال، تشير إلى ما فعله الظاهر في ذلك التاريخ المذكور.

المسجد الأقصى في كتب علماء العرب

هناك مؤلفان عربيان معاصران أولهما الحسن بن أحمد المهلبي، الكاتب الفاطمي المصري (ت٣٨٠هـ - ٩٩٠م)، وقد وصف المسجد الأقصى في كتابه (المسالك والممالك)[٨٧] وثانيهما محمد بن أحمد المقدسي (القرن ١٠)، وربما يكون ثانيهما أقدم الجغرافيين العرب الذين عُنوا بوصف هذا المسجد وصفًا دقيقًا قال:

وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقي نحو القبلة، أساسه من عمل داود، طول الحجر عشرة أذرع وأقل، منقوشة موجهة مؤلفة صلبة، وقد بنى عليه عبد الملك بحجارة صغار حسان، وشرفوه وكان أحسن من جامع دمشق ولكن جاءت زلزلة في دولة بني العباس، فطرحت المغطى إلا ما حول المحراب، فلما بلغ الخليفة خبره، قيل له: لا يفي برده إلى ما كان بيت مال المسلمين. فكتب إلى أمراء الأطراف وسائر القواد أن يبني كل واحد منهم رواقًا، فبنوه أوثق وأغلظ صناعة مما كان، وبقيت تلك القطعة شامة فيه، وهي إلى حد أعمدة الرخام، وما كان من الأساطين المشيدة فهو محدث وللمغطى ستة وعشرون بابًا: باب يقابل المحراب، يسمى باب النحاس الأعظم مصفح بالصفر المذهب لا يفتح مصراعه إلا رجل شديد الباع قويّ الذراع، عن يمينه سبعة أبواب كبار، في وسطها باب مصفح مذهب، وعلى اليسار مثلهن، ومن نحو الشرق أحد عشر بابًا سواذج، وعلى الصحن من اليمنة أروقة على أعمدة رخام

(٨٧) صلاح الدين المنجد: قطعة من كتاب مفقود، (المسالك والممالك): مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ٤ ـ جزء ١ (مايو ١٩٥٨م) ص ٤٣ – ٧٢.

وأســاطين، وعلى المؤخــرة أروقة آزاج من الحجارة، وعلى الوســط المغطى حجل عظيم «جمالون» خلف قبة حســنة، والســقوف كلها إلا المؤخر ملبســة بشقاق الرصاص والمؤخر مرصوف بالفسيفساء الكبار، والصحن كله مبلط وســطه دكة، مثل مســجد يثرب يصعد إليها من الأربعة جوانب في مراق واسعة وفوق الدكة أربع قباب، قبة السلســلة، وقبة المعراج وقبة النبي ﷺ وهذه الثلاث لطاف ملبسة بالرصاص على أعمدة رخام بلا حيطان[88] انتهى.

ونذكر فيما يلي ما قاله الحسن بن أحمد المهلبي عن القدس:

«إن بها الجامع الأعظم، طوله تسع مئة ذراع، وعرضه خمس مئة ذراع وعشرون ذراعًا مبني على إزاج عظام تحته، وينزل إليها بدرج، يخرج من أبواب لها شــاهقة إلى طرقات تحت المســجد، مســتقلة كأنها طبقة ثانية تحت المسجد.. وحيطان المسجد وأساسه مبنية بحجــارة منحوتــة، منها ما طــول الحجر منه عشــرة أذرع، وعرضه وســمكه أربعــة أذرع، ورواق المســجد القبلي الذي فيــه المحراب شــبيه بسدســه في الذرع، وليس الرواق في عرض الصحن كله، بل هــو في مقدار ثلثي الصحن، والثلث الآخر مكشــوف لا رواق عليه، والرواق كله مبلط بالمرمر، وحيطانه كلها منقوشة، ويدور بالرواق من ســائر جهاته أبواب مطوية يدور حولها أروقة على عمد من سائر جهات المسجد كذلك، كما يدور الصحن بأروقة على عمد، عرض الرواق أربع عشرة ذراعًا». ثم وصف المهلبي بعد ذلك قبة الصخرة المقدسة.

(٨٨) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ط ليدن الثانية ص١٦٨، ١٦٩.

ناصر الدين خسرو:

وفـي عـام ١٠٤٧م وصـف الرحالـة الفارسـي ناصـر الدين خسـرو - المسـجد الأقصي أي بعد مرور سـتين سـنة على ما وصفـه المقدسـي في عـام ٩٨٥م، ونلاحظ شـبهًا واضحًا إلى حدٍّ كبير فيما ورد بالوصفين.. وكلاهما يمداننا بما كان عليه المسـجد إلى قبل وصول الصليبييـن. ونقطة الاختلاف تتركز في عدد الأبواب فقد قال المقدسي إنه كان للمسجد على أيامه خمسـة عشر بابًا في الشمال، وأحد عشـر بابًا في الشرق. أما الرحالة الفارسـي فقد ذكر أن للمسـجد سـبعة أبواب فقط في الشمال، وعشـرة في الشرق، ولم يشر ناصر الدين إلى الرواق الذي بناه ابن طاهر. ذلك الذي يقول عنه المقدسي: إن الرواق تألف منه ظلة (سـقيفة) للأبواب التي تفتح ناحية الشـمال.. ومن المحتمل أن هذا الاختلاف يعود إلى الأضرار التي تسـببت عـن الزلزاليـن الشـديدين اللذيـن حدثا في عامـي (٤٠٧هـ- ١٠١٦م)، و(٤٢٥هـ- ١٠٣٤م)، فمما لا شك فيه أن سقيفة ابـن طاهر كانت قد تخربت بسـبب الزلـزال، وكذلك الحائط الشمالي للمسـجد لضعف بنائها بسبب كثرة فتحات الأبواب التـي كانـت بها، ولمـا رممت الحوائـط بعد الزلـزال، اكتفي بخمسـة أبواب فقط بـدلًا من ١٥ في الحائط الشـمالي وأغلق باب واحد في الحائط الشـرقي، وعلى ذلك أصبح عدد الأبواب عشـرة بدلًا من ١١، وقد ذكر ناصر الدين خسرو أن عدد عمد

المسجد كان ٢٨٠ عمودًا[٨٩].

وفـي زمن الخليفة الفاطمي المسـتنصر بالله (١٠٦٦م) جددت واجهة المسجد الشمالية، ولما احتل الصليبيون القدس (١٠٩٩م) اتخذوا قسـمًا من المسـجد لصالحهـم، فجعلوا منه كنيسـة، كما اتخذوا قسـمًا آخر مسكنًا لفرسـان الهيكل، واستعملوا قسمًا آخر مسـتودعًا لذخائرهـم، مضيفين إلـى البناء الأصلي بعـض القناطر المعقـودة، غيـر أن الأمير أسـامة بـن منقذ كان يؤمّـه لأداء فرائض الصلاة.

الإدريسي الجغرافي:

ويصف الإدريسي (ح ١١٥٤م) الجغرافي العربي الذي عاش في بلاط الملك روجر بصقلية المسـجد الأقصى وصفا موجزًا، كما كان عليه في القرن الثاني عشر، ولمَّا كان هذا العلامة لم يزرْ بيت المقدس، فمن المحتمل أنه اقتبس وصفه من بعض الكتب التـي احتوتهـا مكتبة روجـر أو عن أقـوال الحُجاج المسـلمين العائدين من فلسـطين، وقد قال الإدريسي عن المسجد إنه أكبر مسـاجد المسلمين في العالم، إذا اسـتثنينا جامع قرطبة الكبير بالأندلس.

ومرجعنا بعد الإدريسـي هو الفقيه علـي الهروي (ح ١١٧٣م) الذي دوَّن وصفه قبيل اسـتعادة صلاح الديـن الأيوبي بيت المقدس مـن أيـدي الصليبيـن؛ فإنـه بعدما ذكر النقـش الكتابـي للخليفة

(٨٩) Guy le strange: palastine under the moslems – Beirnt ١٩٥٦ يراجع وصف ناصر خسرو للمسجد الأقصى، ص١٠٤-١٠٧.

الفاطمي الظاهر، أورد بعض المقاسات للمسجد، وهي تتفق عامة مع مقاساتها الموجودة حتى اليوم، وقد وصف أيضًا الكهف الذي يقع تحت الصخرة.

وعمدتنا عن المسجد الأقصى بعد ذلك هو المؤرخ ابن الأثير عندما تناول أحداث عام (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) ثم يليه مجير الدين[٩٠]. الذي زار القدس عام ١٤٩٦م على أيام السلطان المملوكي قنصوه الغوري، وينبغي أن نذكر أيضًا تلك السطور القلائل التي أوردها شمس الدين السيوطي[٩١] عن محاريب المسجد الأقصى الذي زار القدس ١٤٧٠هـ.

ولما استرد البطل السلطان صلاح الدين الأيوبي القدس من الصليبيين (١١٨٧م) عمَّر المسجدَ وشيد المحراب أو جدده وكسا قبته بالفسيفساء وأزال كلَّ أثر في المسجد للصليبيين، وفوق المحراب كتابة نقشت بالفسيفساء المذهبة تشير إلى ما فعله صلاح الدين، كما أنه أمر بنقل المنبر الخشبي من حلب إلى المسجد، وكان قد صنعه نور الدين محمود بن زنكي.

وقد عُني خلفاء صلاح الدين بعمارة المسجد الأقصى، فكان المعظَّم عيسى أشدهم اهتمامًا، فإنه هو الذي أنشأ (١٢١٧م) الرواق الذي يكوِّن الواجهة الشمالية لهذا المسجد، وهذا الرواق

---

(٩٠) مؤلف الأنس الجليل ١٤٩٦م وقد ترجمه سوفير إلى الفرنسية عام ١٨٧٦م والنسخة العربية طبعت في بولاق ١٢٨٣هـ ١٨٦٦م وقد نقل عن كثير ممن سبقوه.

(٩١) يعرف بلقبه جمال الدين وقد زار فلسطين عام ١٤٧٠ ثم كتب (إتحاف الأخصاء) وخصه بالمسجد الأقصى.

مؤلـف من سـبعة أقـواس معقودة، يقابـل كلٌّ واحد منهـا بابًا من أبواب المسـجد السـبعة، وعلى واجهة الرواق الأوسط بلاطة من الرخام، نُقشت عليها كلمات تشير إلى ما فعله هذا الملك.

المماليك المصريون:

وقـد دأب السـلاطين المماليـك علـى الاهتمـام بالمسـجد الأقصـى، وكان المنصور سـيف الدين قـلاوون (١٨٨٧م) في طليعة هؤلاء؛ فقد عمَّر سـقف المسـجد من الناحية القبلية مما يلي الغرب عند جامع الأنبياء.

وجـددت القبلـة في زمن ابنـه الملك الناصـر محمد قلاوون (١٣٢٧م) وكذلك الرخام والنوافذ المصنوعة من الفسيفسـاء فـي صدر المسـجد ومنها النافذتـان اللتان عن يميـن المحراب وشـماله، والأبواب، والسـور القبلي عند محـراب داود، وهناك كتابات منقوشـة كثيرة تشـير إلى تلك الأعمـال، منها الكتابة التـي تقرؤهـا في القبة نفسـها مـن الداخل والمكتوبـة بأحرف كبيـرة بالثلث وفـوق النافـذة الكائنة شـرقي المحـراب، وفي الواجهـة الأمامية فوق الأروقة، وحينمـا زار ابن بطوطة القدس (الـذي زار القـدس عام ١٣٢٧م) قال: إنه ليـس على وجه الأرض مسجد أكبر منه.

وقـد عُني أيضا السـلطان شـعبان ابن الملـك الناصر محمد قلاوون، وأخوه السـلطان حسـن (١٣٧٦م) والملك الأشـرف إينـال (١٤٦٠م) والملك الأشـرف قايتباي (١٤٧٩م) بعمارة المسـجد الأقصـى، وهناك كتابة تشـير إلـى ما فعلـه قايتباي،

نُقشت على واجهة المسجد الشمالية فوق الرواق الأوسط إلى اليمين[٩٢] ولعل من أهم إصلاحات قايتباي البارزة في المسجد، تغطية سطحه بالرصاص سنة (٨٨٣هـ - ١٤٧٨م).

سلاطين آل عثمان:

عُني سلاطين آل عثمان بعمارة المسجد، وكان السلطان سليمان القانوني في طليعة العاملين بتعميره (١٥٦١م) فالسلطان محمود الثاني (١٨١٧م) ويقرأ اسمه منقوشًا على قبة الأقصى من الداخل، وعلى بلاطةٍ تراها إلى اليسار وأنت داخل المسجد من بابه الكبير.

ويرجع الفضل إلى السلطان عبد العزيز (١٨٧٤م) في عمل عدد كبير من النوافذ المصنوعة من الفسيفساء، أما السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦م) فقد أهدى المسجدَ شطرًا كبيرًا من السجاد الإيراني.

ومع تقادم الزمن طرأ على المسجد الأقصى وهنٌ اكتُشف عام ١٩٢٢م، ولم يكن هناك مال يكفي لتعميره فأوفد المجلسُ الإسلامي الأعلى بعضَ الوفود إلى الأقطار العربية والإسلامية لجمع المال، وقد جمع آنذاك مئة ألف دينار، فتم تعمير شطر كبير من المسجد (١٩٢٧م) فاستبدلت العمد القديمة البالية التي تقوم عليها القبة بعمد جديدة عددها ثمانية، وأقيمت تلك العمد على أسس متينة من الخراسانة المسلحة، وتم هذا العمل بإشراف المهندس التركي الأستاذ

---

(٩٢) عارف العارف: تاريخ القدس ص٢٩٦.

كمال الدين بجامعة إستانبول ، وبعد مرور خمس سنوات حدث زلزال عنيف (١٩٢٧م) فأضر المسـجد ، ولكن القبة سـلمت من الأذى وحدثت هزة أرضية أخرى في عام ١٩٣٧م دلت على أن المسجد كان في حاجة ماسة إلى تعمير آخر ، فتولّى المجلسُ الإِسـلامي الأعلى برياسة الحاج أمين الحسيني عمارة المسجد من إيرادات الأوقاف العامة .

الوصف المعماري للمسجد الأقصى

يقـع المسـجد الأقصـي في القسـم الجنوبـي من سـاحة الحرم الشـريف : فالزاوية الشـمالية الغربية تبعد عن سـور بـاب المغاربة نحوًا من سـبعين متـرًا ، ويوازي واجهته الشـمالية سـور الحرم من الجنوب ويعلو صحن المسـجد الأقصى الخارجي عن سـطح البحر ٧٣٦ مترًا ونصف المتر .

ويقابل الداخلُ للمسـجد من الجهة الشـمالية رواقًا كبيرًا أُنشئ في زمن الملك المعظَّم عيسى بن أبي بكر أيوب صاحب دمشق سنة ٦٣٤هـ ثـم جدد بعده ، وهو يتألف من سـبع قناطر عقـدت على ممر ينتهي إلى سبعة أبواب ، كل باب يؤدي إلى رواق من أروقة المسجد السبعة .

وللمسـجد عـدا هذه الأبـواب باب فـي الجهة الشـرقية ، وآخر فـي الجهـة الغربية ، وهناك مدخل لجامع النسـاء الواقـع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد .

وجامع النسـاء مؤلـف من رواقين ممتدين غربًا مسـافة ٥٣ مترًا إلى أن يتصلا بجامع المغاربة ، وقد بُني جامع النساء في أيام الفواطم ويقع في الجهة الشـرقية أيضًا جامع عمر ، وقد أطلق عليه اسم أمير المؤمنين عمر ؛ لأنه بقية الجامع الذي شـيده عمر عندما فتح مدينة القدس ويبلغ طول هذا الجامع ٢٦ مترًا وعرضه ٨ أمتار .

ويقـع في الجهة الشـمالية الغربيـة إيوان كبير يتصل بباب يسـمى (مقام عزيز) ، ويقع بالقرب منه إيوان جميل ، يسمى (محراب زكريا) .

وبالمسجد ٥٣ عمودًا من الرخام ، و٤٩ سارية مربعة الشكل ومبنية بالحجر ، وفي الصدر قبة خشبية مستورة من الخارج بصفائح الرصاص ، ومزينـة مـن الداخل بالجـص النافر المزخـرف بالفسيفسـاء الذهبية الملونـة ، وفـي الصدر أيضًا محراب كبير ، وإلـى يمين المحراب منبر

جميل هو الذي أمر بعمله السلطان نور الدين، وأتى به صلاح الدين إلى المسجد، وهو مصنوع من الخشب المرصع بالعاج والأبنوس، ويقابل المنبر دكة المؤذنين، وهي قائمة على عمد من الرخام.

ويوجد في أعلى الأقواس صفان من النوافذ، يفتح القسم العلوي منها نحو الخارج، ويفتح القسم السفلي نحو الرواقين الجانبيين.

وسطح الرواق الرئيسي أعلى من سطح الرواقين المجاورين له، وفوق كل رواق من هذين الرواقين نصبة من الخشب قليلة الارتفاع في الوسط، وهي (الجملون).

ويعلو واجهة القوس الشمالي فسيفساء بديعة، وقد جدَّد هذا القوس، علي أبو الحسن الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، كما هو منقوش، وتدل تلك العبارة المنقوشة على العمارة التي جرت على إثر الزلزال الذي حدث في أثناء حكم الفواطم.

ومن الجليّ أن قسمًا كبيرًا من بناء المسجد الحالي يرجع إلى عهد الخليفة الفاطمي الظاهر، بما في ذلك أقواس الرواق الأوسط وعقود القبة، وأن المسجد في زمن هذا الخليفة كان يتألف من سبعة أروقة ذات أقواس مبنية على خط عمودي لجدار المسجد الجنوبي، وعلى بعد ستة أمتار تقريبًا شمالي المسجد، وإلى الشرق من مدخل الرواق الأوسط يوجد مدخل لقبْوٍ تحت قسم من المسجد الأقصى، ويوجد ضمن جدران المسجد بئر عمقها ١٤ مترًا، و٦٠ سنتيمترًا ويبلغ ارتفاع القبة الوسطى في المسجد ٢١ مترًا تقريبًا، وفي داخل البناء صحن قائم على عمد، ويبلغ ارتفاعه ١٦ مترًا و٥٠ سنتيمترًا.

منبر المسجد الأقصى

يعتبر هذا المنبر من أروع المنابر وأجملها وأدقها صنعة، أتى به صلاح الدين الأيوبي من حلب، حيث كان السلطان نور الدين محمود بن زنكي قد أمر بصنعه ليوضع في جامع قلعة حلب، وهو مصنوع من خشب الأرز اللبناني، وقد نقشت عليه إلى يمين الخطيب: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ (النور: ٣٦، ٣٧)

وعلى يسار الخطيب من الجهة الغربية: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة: ١٨)

ونقشت على دفة المنبر اليمني: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ

أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾

(النحل: ٩٠ - ٩٣)

والجدير بالذكر أن عددًا كبيرًا من مهرة النجارين في حلب قد اشتركوا في صنعه، ونقشوا أسماءهم على باب المنبر في مواضع مختلفة، وقد استغرق صنع المنبر عدة سنوات.

المرحلة الأولى من الإصلاحات الحديثة:

ذكرنا أن الإصلاحات الحديثة الأولى في المسجد الأقصى ترجع إلى عام ١٩٢٢م، وكان أهم الإصلاحات التي رُئي بحثها والتي اتفق على إجرائها:

١- إصلاح المسجد الأقصى إصلاحًا متينًا وبناؤه بناءً ثابتًا.

٢- تجديد نوافذ الجص الملونة.

٣- سبك صفائح الرصاص في القبة.

٤- إصلاح القبة.

٥- تجديد العمد وبعض الجدران وإصلاح غيرها.

وكان هناك برنامج آخر يتعلق بإصلاح الصخرة وعدد من المآذن وإزالة الأبنية التي أضيفت للحرم الشريف، وغيرها من الإصلاحات الكثيرة.

وقد تم ذلك بمعرفة هيئة فنية برئاسة كمال الدين بك يساعده المعماريون نهاد بك وجمال بك وحسني بك، وجميعهم من الأتراك، والمهندس رشدي بك الإمام الحسيني، وعين للهيئة

كاتبان، وقد فرغت الهيئة من عملها بعد وضع التصميمات والرسوم التفصيلية لتجديد القاشاني والرخام ونوافذ الجص وغيرها، وأخيرًا قدمت تقريرها وقد ذُكر فيه وبعد الدرس والروية وضعت الهيئة الفنية تصميمين لعمارة المسجد الأقصى.

الأول: إما هدم القبة وإعادة بنائها ثانيًا.

الثاني: إصلاح القبة وتغيير أساساتها وعمدها وتيجانها.

فالقرار الأول لا ينطوي على الخطر، ولكنه ينطوي على عملية تجديد واسعة النطاق تُفقِد القبة مكانتها الأثرية وأهميتها التاريخية.

أما القرار الثاني فصعب التنفيذ، تحفّه عثرات وأخطار جمة، ولكنه يحفظ هذه القبة الأثرية الثمينة كما بناها السلف.

فأي القرارين تختار الهيئة؟ وأيهما تفضل على الآخر؟

لهذا اضطرت الهيئة الفنية إلى مراجعة المجلس الإسلامي الأعلى، واستشارته في الأمر، فقرر المجلس عقد مؤتمر من المهندسين الأكْفاء ممن لهم خبرة واسعة في المباني الأثرية العربية والإسلامية ليقوم المؤتمر بتقرير الرأي الفني الأخير للعمارة، ثم وجه المجلس الإسلامي دعوة للحكومة المصرية لإيفاد نخبة من المهندسين المصريين للاشتراك في المؤتمر، فأوفدت المهندس محمود أحمد مندوب وزارة الأوقاف عن لجنة الآثار، والمهندس مصطفى حمدي القطان مندوب جمعية المهندسين ووزارة الأشغال، وطلب المجلس من حكومة فلسطين أن يشترك في المؤتمر مستر ريتشموند مساعد السكرتير العام للحكومة ورئيس دائرة الآثار بفلسطين، والمستر غاي مهندس دائرة الآثار والمستر هاريسون

رئيس المهندسين المعماريين في دائرة الأشغال العامة، وقد وافقت الحكومة على هذا الطلب.

وفي أوائل شهر فبراير سنة ١٩٢٤م اجتمع أعضاء المؤتمر وعقد جلسته الأولى بحضور الهيئة الفنية والمعماري كمال الدين بك والمهندسين المذكورين، وقد قضى المؤتمر أسبوعين في دراسة المشروعات الفنية دراسة دقيقة، ودقق النظر في الخطط والرسوم التي أعدتها الهيئة الفنية وفي ٢٣ فبراير وافق المؤتمر بالإجماع على قبول المشروع الثاني، وأساسه تقوية البناء مع المحافظة عليه، وذلك بصلب المجموع، وتقوية الأسس وتقويم العمد، وتجديد الأوتار الخشبية (الشدادات) وحفظ العقود والمقرنصات ورقبة القبة (الكرسي).

وبقدر المستطاع حفظ القبة نفسها، وبالإجمال كل ترميم أو تجديد يرى كمال الدين بك أنه ضروري ومستطاع بالإضافة إلى ما ذكر.

وقد عرض المؤتمر قراره على المجلس الإسلامي الأعلى، فوافق عليه، وعهد إلى الهيئة الفنية بتنفيذه بدقة وعناية ولكنها رأت أن تشرك معها خبراء فنيين في العمل، وذلك لخطورة المشروع فاستدعى المجلس الإسلامي خبيرين من إحدى الشركات المعمارية الكبرى في أوروبا وقاما ببحث المشروع والتصميمات، ولكنهما أظهرا ترددًا في قبوله وتأمين نجاحه، وقرَّرا العودة إلى بلادهما.

وأخيرًا قررت الهيئة الفنية الاضطلاع بهذا العمل وتنفيذه وابتدأت عملها في ١٩٢٢م وانتهت الأعمال التحضيرية في سنة

١٩٢٤م ثم حُلَّت الهيئة الفنية في ١٩٢٥م بعد سفر الأتراك، وعهد المجلس الإِسلامي إلى المهندس رشدي بك الإمام بإِتمام الأعمال وكان أهمها:

١- إتمام تقوية أركان قبة المسجد الأقصى.

٢- تقوية قبة المسجد بأسلحة خشبية أو معدنية.

٣- ستر شدادات الخرسانة المسلحة التي تربط بين أركان القبة بصفائح النحاس الأصفر المزين بالرسوم العربية النافرة.

٤- إتمام النقص في الفسيفساء الموجودة في أسطوانة القبة.

٥- عمل نوافذ جصية للمسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة.

٦- تغطية أركان القبة المبنية بالخرسانة المسلحة بالرخام الأبيض بعد تحضير الرسوم العربية اللازمة، ونقشه.

٧- إيجاد معملين فنيين للقيام بأعمال النجارة والجص وحفر النحاس.

وقد سار العمل حثيثًا في الإِصلاح، وفي أثنائه استُدعي كمال بك للاطلاع على ما تم منه، وقد سُرَّ كثيرًا مما شاهده وأثنى على القائمين به.

زلزال آخر:

وفي اليوم الحادي عشر من شهر يوليو ١٩٢٧م حدث زلزال عنيف دام أكثر من خمس وعشرين ثانية، ولكن من حسن الحظ لم يصب المسجد بأذى بالغ وانحصرت الأضرار في سقوط قوس خشبي عن سقالته، بينما كان يجري العمل فيه، فقتل العامل محمود الأسمر، وأصيب بجراح بسيطة عدد من العمال، كما أدى

إلى ظهور شق عمودي في منتصف عقد الرواق الأول في الجهة الغربية، وظهور شقوق أخرى في أقواس الرواق السادس وعقوده، وحدوث تشقق في القطعة الممتدة من الأقسام السفلية من الجسر الأول حتى الجسر الخامس من الجدارين الغربي والشرقي من الرواق المتوسط.

واستمر العمل بعد الزلزال بهمة، بينما وجهت دعوة إلى مسلمي العالم للإقبال على مؤازرة المشروع بالمال؛ لما للمسجد من مركز ديني مقدس، وقد أقبل ملوك ورؤساء المسلمين على التبرع ومد يد العون إلى إنجاز الاصلاحات.

وكانت حفلة افتتاح العمارة الجديدة يومًا مشهودًا، وقد خصص لها يوم ميلاد الرسول، يوم الاثنين الواقع في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٤٧هـ الموافق ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٨م، فاحتفل المسلمون يومها بعيدين: عيد الرسول، وعيد عمارة المسجد، وفي هذا اليوم تبارى ممثلو الدول الإسلامية بالقاء خطبهم، وفمما قاله مندوب مصر، الأستاذ عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة:

«إن هذا العمل لمن أبرّ الأعمال التي قام بها المسلمون متضامنين في نهضتهم الأخيرة، وإن الأمم الناهضة والشعوب الراقية تُعنَى العناية كلَّها بالمحافظة على العظيم من آثارها، والمسجد الأقصى هو أحد الأماكن الإسلامية المقدسة والمساجد التي تشد إليها الرحال».

المرحلة الثانية في الإصلاحات ١٩٣٨ - ١٩٤٣م:

وبعد سنوات، أدرك المجلس الإسلامي الأعلى أن خطرًا جديدًا يتهدد المسجد الأقصى، فبادر في ١٩٣٨م إلى طلب بعثة فنية من المهندسين المصريين المشتغلين بالآثار الإسلامية، فانتُدب لهذه المهمة المهندس عبد الفتاح حلمي (المفتش آنذاك للجنة حفظ الآثار العربية بالقاهرة) والمهندس محمد نافع وكيل اللجنة، فقدما إلى القدس وفحصا حالة المسجد فحصًا دقيقًا وأشارا باتخاذ بعض الترتيبات الضرورية لمنع بعض الأجزاء المتداعية من السقوط، ثم وضعا تقريرًا عن حالة المسجد وما رأياه من علاج، وأرفقا تقريرهما بتصميم للإصلاح، وقد نفذ هذا التصميم بعد أن رُئي إعادة المسجد إلى ما كان يجب أن يكون عليه طبقًا لتخطيطه الأصلي في أيام العباسيين وعمارة الظاهر لدين الله الفاطمي سنة ٤٢٦هـ-١٠٣٥م التي لم تغير من تخطيطه العباسي سوى تضييقه من الشرق والغرب بإزالة بعض الأروقة الجانبية، أما بالنسبة للرواق الأوسط فقد رُئي هدمه وإعادة بنائه على نظامه الذي كان عليه، والاستعاضة عن العمد الحجرية بأخرى رخامية من قطعة واحدة واستبدال الجملون الخشبي بآخر من الحديد والصلب.

وعهد إلى شركة ميتشل ورولان بالقيام بتنفيذ مشروع الإصلاح تحت إشراف إدارة حفظ الآثار العربية، فأتمته على خير وجه، إذ قامت:

١- بعمل أساسات العمد والحائط الشرقي، وأقامت العمد الرخامية وعددها ٢٤ عمودًا.

٢- أتمت بناء العقود وما يعلوها من مبانٍ بالحجر، وصبت السقف المسلح للقسم الشرقي بعد هدم الرواق الشرقي.

٣- هدمت الرواق الأوسط وأعادت بناءه.

٤- استبدلت الجملون الخشبي بآخر من الصلب، وبنوا تحته سقفًا خشبيًا بشكل أفقي، أنفق على تذهيبه وزخرفته عشرة آلاف جنيه تبرعت بها الحكومة المصرية.

٥- أعادت الرصاص القديم فوق السطح بعد أن أعيد سبكه.

كانت تلك أهم إصلاحات المسجد حتى عام ١٩٤٣م وقد أشرف على تنفيذها المرحوم محمود أحمد باشا مدير دائرة حفظ الآثار العربية بالقاهرة (ت١٩٤٢م) ووكيلها المهندس محمد نافع بك الذي شغل منصب المهندس المقيم لمباشرة الإصلاحات، والمهندس عبد الفتاح بك حلمي مدير الدائرة بعد وفاة محمود أحمد، وقد أسهم بالإصلاحات منذ البدء فيها المهندس محمود مهدي بك مفتش الهندسة في الدائرة المذكورة، وقد وضع تصميم الجملون الحديد فوق الرواق الأوسط، والمهندس عباس بدر (رحمه الله ت١٩٦٥م)، وقد أشرف على تركيب الجملون فوق الرواق الأوسط المهندس حسن توفيق، وقد ساهم في عمل الرسوم الخاصة بالإصلاح زميله محمد فوزي حسين، ومحمد رمضان، وفوزي عقروق الذي كان ينوب عن عبد الفتاح حلمي في أثناء غيابه.

وللحاجة إلى المال لتنفيذ المرحلة الثالثة من الإصلاحات رُئي تأجيلها بعض الوقت، وقد تمت فيما بعد، وأهم ما اشتملت عليه:

١- تجديد القسم الغربي من المسجد الأقصى.

٢- بعض أعمال الزخرفة كالنقش والتذهيب لسقفي الرواقين الأوسط والشرقي.

مساجد في خارج الحرم وداخل سور مدينة القدس

وهناك في مدينة القدس مساجد كثيرة، تقام في معظمها الشعائر الإسلامية. نذكر منها:

١- مسجد باب خان الزيت في سوق خان الزيت.
٢- مسجد حارة اليهود الكبير في الطرف القبلي لحارة اليهود.
٣- مسجد حارة اليهود الصغير في الطرف الشمالي لحارة اليهود.
٤- مسجد سويقة علون في سويقة علون.
٥- مسجد القلعة داخل القلعة بباب الخليل.
٦- مسجد الخانقاه إلى الشمال الغربي من كنيسة القيامة.
٧- مسجد قمبر ملاصق للسور الشمالي.
٨- الجامع العمري في حارة النصارى قبلي كنيسة القيامة.
٩- الجامع اليعقوبي تجاه القلعة من الشرق بباب الخليل.
١٠- مسجد بني حسن تجاه القلعة من الشرق بباب الخليل.
١١- مسجد حارة الأرمن على مقربةٍ من دير الأرمن.
١٢- مسجد طريق النبي داود على طريق النبي داود.
١٣- مسجد حارة الجوالدية أمام دير الإفرنج من الغرب.
١٤- مسجد الشيخ لولو عند باب العمود على مقربة من السور.
١٥- الجامع الصغير عند مفترق طريقي الواد وباب العمود.
١٦- مسجد البراق ملاصق لحائط البراق في حارة المغاربة.
١٧- مسجد خان السلطان في خان السلطان بسوق باب السلسلة.
١٨- مسجد القرمي في حارة القرمي.
١٩- مسجد حارة النصارى على طريق باب خان الزيت.
٢٠- مسجد البازار في سوق البازار.
٢١- مسجد الزاوية النقشبندية في داخل الزاوية النقشبندية.
٢٢- مسجد المولوية في داخل الزاوية المولوية بحارة السندية.
٢٣- مسجد زاوية الهنود في داخل زاوية الهنود تجاه باب الساهرة.

مساجد في القدس خارج سور المدينة

١- جامع الشيخ جراح في حي الشيخ جراح على طريق نابلس.

٢- الجامع المسعودي في حي سعد وسعيد على طريق نابلس.

٣- جامع وادي الجوز في حي وادي الجوز.

٤- جامع حجازي في حي باب الساهرة.

٥- جامع النبي داود في حي النبي داود.

٦- جامع عكاشة في حي زخرون موشه.

٧- جامع المطحنة بين النبي داود وحارة الشرف.

وفي القدس عدة زوايا، منها الزاوية النقشبندية (١٦١٦م)، وزاوية الهنود، والزاوية الأدهمية، والزاوية الرفاعية، وزاوية الشيخ جراح، والزاوية اللؤلؤية، والزاوية القادرية، والزاوية المولوية[٩٣].

فتح مدينة القدس

بعد انتصار العرب على الروم في معركة اليرموك الحاسمة (رجب سنة ١٥هـ- ١٠ أغسطس سنة ٦٣٦م)، عزموا على فتح بيت المقدس. فقصدها عمرو بن العاص (وكانت تسمى إيلياء)، ثم قدم القائد أبو عبيدة بن الجراح ونزل الأردن وبعث الرسل إلى أهل إيلياء ثم كتب إليهم يدعوهم إلى الدين الحنيف أو أن يؤدوا الجزية، فإن أبوا فعليهم أن يقاتلوا المسلمين. وانتظر أبو عبيدة أهل إيلياء أن يأتوه وأن يصالحوه، ولكنهم لم يردوا عليه بجواب، فسار إليهم وحاصرهم مع عمرو بن العاص حصارًا شديدًا وضيق

(٩٣) عارف العارف: تاريخ القدس، ص ٢٧٨ - ٢٨١.

عليهم، فخرجوا إليه ذات يوم، فقاتلوا المسلمين ساعة، ولكنهم انهزموا أمام هجمات المسلمين، ودخلوا المدينة وأغلقوا أبوابها دون المهاجمين، وكان الذي وَلِي القتال من أمراء المسلمين خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان، كل أمير منهما بجانب. أقام أبو عبيدة يومين أو ثلاثة في أثناء الحصار، وأوجب على نفسه أنه غير مقلع عن المدينة إلا بعد أن يفتحها، عندئذ طلب أهل المدينة من أبي عبيدة الأمان والصلح، على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم، على أن يكون المتولِّي للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه.

واستمر حصار العرب لبيت المقدس قبل تسليمها إليهم مدة شتاء سنة ١٦ و١٧ للهجرة (٦٣٦ - ٦٣٧م) كلّه، وربما استطال أكثر من ذلك، فقد كان بالمدينة شيء كثير من المئونة، وكانت أسوارها قد رُمِّمتْ وحصنت بعد خروج الفرس منها. فلما جاء العرب إليها ظلوا حولها عدة أشهر يحيطون بأسوارها ويرمون جندها بالسهام، لكنهم لم يستطيعوا أن ينالوا منها إلا يسيرًا. ولما نفدت المئونة وقرب وقوع المجاعة بين السكان، فاوض البطريك الشيخ صفر يانوس قادة العرب من فوق الأسوار على التسليم، بشرط أن يأتي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه، ويتسلم المدينة ويتولَّى بنفسه عقد الصلح.

كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب بما طلب أهل إيلياء، فسار من المدينة حتى نزل الجابية (قرية من أعمال دمشق) في شمال حوران فلقيه فيها القادة: يزيد بن أبي سفيان، وأبو عبيدة

بــن الجراح، وخالد بــن الوليد، لقيــه هؤلاء على الخيــول وعليهم الديباج، فأخذ عمر الحجارة ورماهم بها قائلًا: إياي تســتقبلون في هذا الزيّ. ثم أقبل أهل إيلياء فصالحهم عمر على فتح بيت المقدس لــه، وكتب لهم الصلح، وهــو مقيم في الجابية. وقــد روى المؤرخ الطبري نصه. وقد كتب في سنة ١٥هـ.

بعث عمر بأمان أهل إيلياء، فســكنها الجندُ، واســتعمل علقمة بــن مجزز عليها، ثم شَــخَصَ إلى بيت المقــدس، فوصل إلى الجبل الشــرقي وهو طور زينا المعروف اليوم بجبل الزيتون، وكان مجيئه مــن جنوبي المدينة من الجبل المعــروف اليوم بجبل المكبر، وجاء رسول البطريق يرحب بعمر ويسأل الأمان لصاحبه ليتولى مصالحته ومكاتبتــه، فأنعم عمر بذلك، وهناك ثبت عمر لصفر يانوس العهد الذي أعطاه ووقعه في الجابية، وتُلي كتاب الصلح مرة أخرى. وبعد انتهاء المجلس طلب عمر من صفر يانوس أن يدله على مسجد داود. قال نعم، وخرج عمر متقلدًا سيفه في أربعة آلاف من الصحابة. وسار البطريــق بين يدي عمر فــي أصحابه، ودخلــوا المدينة، وربما كان من باب الأســباط، وتوجهوا إلى كنيســة القيامة، ومنها إلى كنيسة صهيــون، ولكــن عمر لم يجد فــي المكانين الصفة التــي ذكرها له رســول الله عن مســجد داود. ثم أتــى صفر يانوس بعمــر إلى الحرم الشــريف من الباب الذي عرف فيما بعــد بباب محمد، فدخلوا منه إلى صحن المسجد حبوًا ودخل وراءهم الصحابة، واستووا فيه قيامًا، فوجــدوا على الصخرة زبلًا كثيرًا، فبســط عمر رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل، وجعل المسلمون يكنسون معه. ثم قال عمر لكعب بن

مالك المعروف بكعب الأحبار: «أين ترى نجعل المصلَّى؟ قال: إلى الصخرة. قال: ضاهيتَ والله يا أبا إسحاق اليهودية، بل نجعل قبلته صدره، كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صدورها. اذهب إليك، فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكن أمرنا بالكعبة. فجعل محراب عمر في الرواق الشرقي من المسجد الأقصى، وما زالت آثاره باقية.
وبعد أن قضى الخليفة عمر في بيت المقدس أيامًا، ودخل الناس بعضهم في بعض يتعاملون ويتبادلون شئون الحياة. ولمَّا تهيأ عمر للرحيل إلى المدينة جمع الناس وخطب فيهم قائلًا:

«يا أهل الإسلام، إن الله تعالى قد صدقكم الوعد، ونصركم على الأعداء وأورثكم البلاد، ومكَّن لكم في الأرض، فلا يكونن جزاؤه منكم إلا الشكر. وإياكم والعمل بالمعاصي، فإن العمل بالمعاصي كفرٌ للنعم».

ثم حضرت الصلاة، فقال عمر: يا بلال ألا تؤذن لنا رحمك الله؟ قال بلال: يا أمير المؤمنين، والله ما أردتُ أن أؤذنَ لأحد بعد رسول الله ﷺ ولكن سأطيعك إذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها.

فلما أذَّن بلال، وسمعت الصحابةُ صوته، ذُكِّروا بنبيهم ﷺ فبكوا بكاءً شديدًا. ولمَّا قضى عمرُ صلاتَه، انصرفَ راجعًا للمدينة. وبقي علقمة بن مجزر عاملًا على بيت المقدس، يصلِّي في الناس ويقيم شعائر الإسلام، وينظر في مصالح البلاد.

هذه لمحة مضيئة في فتح العرب مدينة القدس في سنة سبع عشرة حسب رواية البلاذري؛ لأنها تتفق مع التاريخ الذي عينه

مؤرخو الروم للفتح العربي، وهو سنة ٦٣٧م[٩٤].

وولّى عمر بن الخطاب خلْفه ببيت المقدس للصلاة بالناس سلامةَ بن قيصر الحضرمي وهو من الصحابة، فمكث في هذه الولاية زمنًا ثم رجع إلى مصر بعد فتحها وعاد إلى القدس واليًا لمعاوية عليها، ومات فيها ودُفن في مقبرة مأمن الله. وقد ولّى عمرُ عبادةَ بن الصامت الأنصاري قاضيًا على بيت المقدس، وعبادةُ هذا ابن قيس الأنصاري شهد بدرًا وما بعدها من الوقائع، وكان أحد النقباء الذين بايعوا رسول الله ليلة العقبة، وكان ممن جمعوا القرآن في عهده.

ثم دخل عبادةُ مصر، وكان من كبار الصحابة الذين وقفوا على إقامة قبلة جامع عمرو بن العاص. وقد تُوفي ببيت المقدس ودفن بها في مقبرة باب الرحمة سنة أربع وثلاثين.

وكان ممن بعثهم عمر إلى القدس ليعلموا الناس القرآن، ويفقهوهم في الدين شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري الذي شهد بدرًا مع أبيه، وقد تُوفي ببيت المقدس سنة ٥٨هـ، ومقبرته في باب الرحمة تحت سور المسجد الأقصى.

والصحابة الذين نزلوا بيت المقدس كثيرون، أشار إليهم ابن فضل الله العمري وصاحب الأنس الجليل.

---

(٩٤) محمد يونس الحسيني: التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية. القدس، ص٤٥ - ٤٩.

تواريخ هامة لمدينة القدس

٦١٤م الفرس يدمرون القدس بقيادة كسرى الثاني.

٦٣٧م مقدم الجيوش العربية وحصار القدس.

١٠٩٩م الصليبيون يدخلون القدس بقيادة غودفري دي بويون.

١١٨٧م صلاح الدين الأيوبي ينتزع القدس من الصليبيين.

١٥١٧م سليمان القانوني يستولي على القدس بعد هزيمة المماليك.

١٩١٧م الجنرال اللنبي يدخل القدس على رأس الجيوش العربية والبريطانية من باب الخليل.

١٩٤٨م الإنجليز يغادرون فلسطين بعد وصايتهم عليها في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

خاتمة الفصل

حينما تذكر الآثار الإسلامية يجيء في طليعتها : الكعبة المكرمة، ومسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة، وقبة الصخرة الشريفة والمسجد الأقصى بالقدس. . فتلك آثار يجلها المسلمون في جميع أنحاء العالم.

ولقد تحدثنا في هذا البحث عن الأثرين الجليلين : المسجد الأقصى وقبة الصخرة، لنعيد إلى الأذهان ذكرى مكانتهما الدينية والتاريخية والفنية في أعقاب ما وقع فيها من الأحداث الحزينة من سفك دماء وسلب ونهب في أوائل شهر يونيو ١٩٦٧م.

إن في تاريخ الأمصار والمدن ما يشبه تمامًا تواريخ الشعوب، ولقد مر بالقدس الكثير من الأحداث الحلوة والمرة، وسنذكر حدثين منها على سبيل المثال :

ففي تمام الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الجمعة الموافق ١٥ يوليو سنة ١٠٩٩م دخل الصليبيون بيت المقدس، وما كادوا يقتحمونها حتى حكموا على كل مسلم بقي فيها بالموت، وشرعوا من فورهم في تنفيذ الحكم، فقتلوا سبعين ألفًا حتى من التجأ منهم إلى المسجد الأقصى.

واقترف الصليبيون المنكرات التي يندى لها جبين الدهر، ثم راحوا يديرون المدينة كما يشاءون، واستولوا على المباني الإسلامية أو المسيحية المنتمية إلى الكنيسة الأرثوذكسية (الشرقية)، ثم حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة، واستعملوا المسجد الأقصى لمصالحهم، فأنقصوا من حجمه وجعلوا منه كنيسة ومسكنًا لفرسان الهيكل واستخدموا ما تبقى منه مستودعًا

للذخائر، واتخذوا السراديب التي في أسفله إسطبلًا، وكانوا قد أقاموا مملكتهم اللاتينية بزعامة (جودفري دوق بولون)، وتعاقب من بعده الملوك حتى تولى العرش جاي دو لوسينيان.

فهل سكن المسلمون لذلك التحدي؟

أفاق المسلمون من هزيمتهم وأخذوا في التعرف على أسباب ضعفهم، فلما جاء الزعيم البطل الناصر صلاح الدين الأيوبي، وحَّد كلمة المسلمين وقضى على النزعات المذهبية ووضع الخطة الجريئة.. خطة استرداد القدس.. وما كاد ينتهي من معركة حطين (٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣هـ ١١٨٧م)، وينتصر فيها على الصليبيين، حتى سار على رأس جيش من العرب والترك والأكراد إلى بيت المقدس، فحاصرها وأخذ في تركيب آلات الحصار، وفي إعداد وسائل القتال وتعيين القادة، وكانت حامية الأعداء ببيت المقدس مؤلفة من حوالي ستين ألف مقاتل، ويحيط بالمدينة سور منيع...

أحكم البطل حصار القدس، وأنذر الأعداء ثم طالبهم بالاستسلام، فأبوا أولًا، ومن ثم راح يضربهم بالمجانيق، ونشب قتال عنيف عند الأسوار وقد أبلى فيه الفريقان بلاءً حسنًا، وتمكن المسلمون من خرق جانب من السور الشرقي فيئس الصليبيون وأدركوا استحالة الدفاع، ومن ثم أرسلوا رسلهم للسلطان عارضين الاستسلام، فتردد صلاح الدين أولًا، ثم قبل بشروط أن يغادر الصليبيون المدينة لقاء الجزية، على أن تدفع خلال أربعين يومًا. فرضُوا؛ فغادروا القدس بأمانٍ دون أن يصابوا بأذًى، وعفا عن كثيرين، مفتديًا من ماله الخاص عشرة آلاف شخص.

لقد اســتعاد صلاح الدين بيت المقدس حينما اتحد المســلمون تحت قيادة زعيم فذ .

عــاد القــدس إلــى أصحابه فــي يوم الجمعــة الموافــق ٢٧ رجب ســنة ٥٨٣هــ ٢ أكتوبــر ١١٨٧م أي بعد حوالي ٨٨ ســنة ، ودخل المســلمون المدينة للحفاظ على الأمــن ، فلم يقع فيها حادث نهب أو ســلب ، وخفقت الأعلام الإِســلامية على الدور والأسوار. وأرسل الملوك والأمراء رسلهم يهنئون صلاح الدين على انتصاره

الفهرس

تقديم

أ.د . محمود حمدي زقزوق ٣

المسجد الأقصى أم الهيكل المزعوم

أ.د . يحيي وزيري ٩

القـــــدس بين اليهودية والإِسلام

أ.د . محمد عمارة ٦٧

مقدساتنا الإِسلامية قبة الصخرة والمسجد الأقصى

د . عبدالرحمن زكي ١٠٥

***